البطريرك القديس

أثناسيوس الرسول الأنطاكي

حقوق التأليف والترجمة والطبع محفوظة للمؤلف

يوسف حبيب

١٩٦٩

البطريرك القديس

أثناسيوس الرسولي

١٩٦٩

يوسف حبيب

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد آمين ؟

غبطة أبينا المكرم الأنبا كيرلس السادس
بابا الاسكندرية وبطـــريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

« اسألكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها ، بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة ، مسرعين الى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل . لكى تكونوا جسداً واحداً وروحاً واحـــداً ، كما دعيتم فى رجاء دعوتكم الواحد . رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة » أفسس ٤ : ١ - ٥ .

حينما يذكر اسم القديس ساويرس بطريرك أنطاكية تذكر أمانته القوية وتآلفه مع كنيسة الاسكندرية العريقة فى القدم عمود الأرثوذكسية القويم وصرحها الشامخ المتين . كان القديس رمزاً للوحدة المقدسة فى الكنيسة الواحدة الوحيدة الجامعة ، وله من الصلابة والرسوخ وقوة الحجة ما أرسى به جبال المعارف الدينية الباهرة وأنوارها لا تزال تضىء العـــالم أجمع ، وقد انتشرت الأرثوذكسية فى جميع الأرجاء وإزدهرت إزدهاراً كبيراً .

إن الكنيسة القبطية الواحدة الوحيدة كانت ولا تزال سنداً وظهيراً وحصناً حصيناً لكل من يدافع عن إيمانها ومعتقداتها ولكل من يناضل عن الأرثوذكسية المستقيمة مهما اختلفت الديار تجمعهم روابط الآباء، كما أنه فى جميع الأزمان كانت تحارب مقاومى الإيمان الأرثوذكسى، وقد تعاون البطريرك القديس ساويرس الأنطاكى مع كنيسة الاسكندرية على أرساء قواعد الإيمان المستقيم ونشر المعارف الدينية وتأييد المعتقدات الصحيحة بما لا يقبل الشك ...

كانت الصلة وطيدة بين البطريرك الأنطاكى القديس ساويرس والبطريرك الاسكندرى الأنبا تيموثاوس فى القرن السادس وكانت كل الأمور المتعلقة بالكنيسة تقسم بالوحدة وكان موقفهما ضد مجمع خلقيدونية المنعقد فى سنة ٤٥١ غاية فى الروعة، وهناك تقليد فى الكنيستين أن يرسل البطريرك الأنطاكى إلى الاسكندرية رسالة يشرح فيها إيمانه عقب جلوسه على الكرسى، وكان من عادة بطاركة أنطاكية والاسكندرية فى القرن السادس أن يخاطب أحدهما الآخر عند رسامته ليأمر كنائسه أن تذكر اسمه فى أوشية « طلبة الآباء » ويضمن خطابه الإقرار بالإيمان المستقيم، ومن هذه الخطابات ما سجل فى كتاب « اعترافات

الآباء الموجود فى مكتبة البطريركية، وللقديس ساويرس جهود كثيرة فى دعم الوحدة بين الكنيستين. وقد قاوم دعاة البدع والهرطقة التى لا تتفق وتعاليم الرسل والعقيدة الأرثوذكسية واحتمل من الضيقات والاضطهاد الشىء الكثير نتيجة لقرار المجمع الخلقيدونى سنة ٤٥١ م.

كانت الكنيستان تجمعهما الوحدة المقدسة وكان البطريرك الأنبا ساويرس نفسه يجول فى ديار مصر يصلى فى كنائس الأقباط وأديرتها فليست هناك فوارق، وقد أقام فى دير الزجاج قرب الاسكندرية وكان مقره المفضل.

وتجلت الوحدة الآن بين الكنيستين القبطية والسريانية وأصبح اسم السيد رئيس الأحبار غبطة البطريرك مار يعقوب الأنطاكى - بمقتضى قرار من المجمع المقدس - يتلى فى القداسات إلى جانب اسم بابا الاسكندرية غبطة البطريرك المعظم الأنبا كيرلس. ويتبع ذلك فى الكنيسة السريانية أيضاً.

ان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة السريانية الأرثوذكسية هما كنيسة واحدة فى الإيمان والعقيدة والمذهب وليس بينهما أى خلاف فى أى أمر من أمور الإيمان المسيحى، وقرارا المجمع المقدس لبطريركية الأقباط الأرثوذكس والمجمع

المقدس لبطريركية انطاكية وسائر الشرق للسريان الأرثوذكس أعلن فيهما أن الكنيسة القبطية والسريانية متحدتان فى الإيمان والعقيدة وليس بينهما فرق مذهبى أو خلاف عقائدى .

وقبل جلوس غبطة البابا المعظم أنبا كيرلس السادس على الكرسى المرقسى فى مايو سنة ١٩٥٩ زار مار أغناطيوس يعقوب البطريرك الانطاكى الديار المصرية وكان ذلك فى يناير سنة ١٩٥٩، وكان لهذه الزيارة أثرها فى ربط أواصر الصداقة والوحدة بين الكنيستين القبطية والسريانية - وقد زار دير السريان العامر حيث تفقد أرجاءه وأطلع على بعض المخطوطات السريانية ، كما حضر حفل التكريم الذى أقيم له بمعهد الدراسات القبطية وبصحبته نيافة مار ديونيسيوس جرجس مطران حلب ونيافة مار ملاتيوس برنابا مطران حمص والآب زكا بقسير السكرتير البطريركى والآب نوح شابا نائب غبطة البطريرك فى الإقليم المصرى ، وفى هذا الحفل تحدث غبطة البطريرك الانطاكى عن الكنيسة السريانية وعلاقتها مع كنيسة الاسكندرية ، وعن الكنيسة السريانية فى الوقت الحاضر فى مختلف إيبارشياتها فى العالم.

هذه الزيارة الكريمة لمصر بصحبة اثنين من مطارنة السريان كانت خطوة لتوطيد العلاقات بين الكنائس الشرقية الخمس -

القبطية والاثيوبية والسريانية والهندية والارمينية وهى الكنائس المتحدة فى العقيدة .

ومن الرسائل التى تبودلت بين غبطة البابا المعظم أنبا كيرلس السادس وغبطة مار أغناطيوس يعقوب الانطاكى تحقق توطيد العلاقات بين الكنيستين .

ومنذ أقدم الأجيال كان بطريرك الكرسى الانطاكى يتبادل الرسائل مع أخيه الحبيب الروحى بطريرك الكرازة المرقسية ، وكانت أواصر الصداقة متمكنة بينهما كما سبق ذكرنا ذلك .

ونورد هنا نص الرسالتين اللتين تبودلتا بعد جلوس حضرة صاحب القداسة البابا المعظم أنبا كيرلس السادس على الكرسى المرقسى .

رسالة غبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس بابا وبطريرك الكرازة المرقسية المؤرخة ١٩٥٩/٨/٤

حضرة صاحب الغبطة مار أغناطيوس يعقوب الثالث
الأخ الحبيب الروحى بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس
دامت قداسته .

بعد القبلة الرسولية والمصالحة الاخوية وإهـــداء اخوتكم سلامنا الروحى وأشواقنا ، تتعشم أن تكونوا غبطتكم فى أتم صحة وأكمل عافية وهناء روحى وجسدى .

إن مشاعر الإخوة والرغبة الصادقة فى دوام الصـــلات الروحية التاريخية بين الكرسى الاسكندرى والكرسى الانطاكى دفعتنا لكى نبادل إخوتكم ما أظهرتموه من روح الود والمحبة عن يد نائبكم بمصر إبننا المبارك نوح وما أداه باسمكم من واجب أخـــوى .

وإننا نود بكل محبة أن نؤيد ما كانت عليه الصلات القوية بين الكنيستين فى الماضى ، ونرجو أن تعود هذه الصـــلات وتزدهر حتى يهذا التعاون تؤدى واجبها ومسئولياتها أمام العالم.

هذا ونضرع إلى مراحم الرب أن يحفظكم وكنيستكم المقدسة مع سائر رجال إكليروسكم الموقر وشعبكم المحبوب فى ســـلام وطمأنينة وهناء شامل .

نعمة الرب يسوع تشمل جميعنا ورحمته تدركنا ولعظمته تعالى الشكر دائماً ؟

كيرلس السادس
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

† † †

رد غبطة البطريرك مار أغناطيوس يعقوب الإنطاكى .

حضرة صاحب القداسة الأخ الحبيب الروحى الأنبا كيرلس السادس بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الكلى الطوبى والجزيل البر .

بعد القبلة الرسولية والمصالحة الاخوية والسلام بالرب . نرجو أن تكونوا قداستكم على أحسن ما يرام من الصحة والعافية نفساً وجسداً .

بقلب مفعم بالسرور طالعنا رسالتكم الكريمة المؤرخة فى ٤ أغسطس الماضى . على أثر تسنمكم سدة الكرازة المرقسية السامية ، لما تضمنته من مشاعر الأخوة الصحيحة والرغبـــة الصادقة فى دوام الصلات الروحيـــة التاريخية بين الكرسيين الانطاكى والاسكندرى المقدسين .

وبهذه المناسبة نود نحن أيضاً بكل إخلاص أن نؤيد الصلات الوثقى التى ربطت فى الماضى كنيستينا الرسوليتين آملين أن تقوى وتزدهر أكثر فأكثر فى هذا العصر الذى نحن فيه بأمس الحاجة إلى التعاون الكلى . نصرة للإيمان القويم ، وقياماً بمسئوليات جسام تجاه البشرية جمعاء .

وان ما قام به باسمنا الآب نوح من التهنئة لقداستكم نعتبره واجباً لازماً وبرهاناً على ما يكنه قلبنا من محبة خالصة نحوكم ونحو الكنيسة الشقيقة، وإذ نكرر تهانينا لإخوتكم بهذا المنصب الرفيع الذى نلتموه عن جدارة واستحقاق ، نسأل الحق سبحانه وتعالى أن يحفظكم وكنيستكم المقدسة يا كليروسها الموقر وشعبها العزيز ويأخذ بيدكم إلى عمل كل ما يتمجد به اسمه الكريم .

هذا ما إقتضى والنعمة مع جميعنا .

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

وجدير بالذكر أيضاً أنه حدث بعد ذلك فى الفترة من ١٥-٢١ يناير سنة ١٩٦٥ أن عقد مؤتمر أديس أبابا للكنائس الشرقية، إذ دعا جلالة الامبراطور هيلاسلاسى لهذا المؤتمر لبحث وحدة الكنائس الأرثوذكسية. وقد وضعت الأسس التى ينبغى إرساء المؤتمرات عليها فتتقضى افتراقات البيعة المقدسة .

دعا إلى هذا المؤتمر كنيسة الاسكندرية وكنيسة أثيوبيا والكنيسة السريانية بانطاكية والهند وكنيسة الأرمن ... وقد أهتم جلالة الامبراطور بحضور بابا الاسكندرية ونزل البطاركة فى أحد القصور وخصص لغبطة البابا كيرلس السادس أعظم

قصور الإمبراطورية وهو قصر منليك الثانى تكريماً له ، وأفتتح جلالة الإمبراطور المؤتمر .

وقد أشترك نيافة الأنبا ساويرس مطران الموصل الأرثوذكسى (الحالى) فى اجتماعات اللجنة الدائمة لمؤتمر الكنائس الأرثوذكسية بالقاهرة وزار الاسكندرية فى ٢٥ يناير سنة ١٩٦٦ متفقداً بعض كنائسها وأبحر من ميناء الاسكندرية يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٦٦ عائداً إلى إيبارشيته .

وطلب قداسة مار أغناطيوس يعقوب البطريرك الانطاكى إلى قداسة البابا المعظم أنبا كيرلس السادس إيفاد راهب للتدريس فى كلية اللاهوت للسريان الأرثوذكس بزحله بلبنان ، وهى الكلية التى تعد الكهنة والرهبان والوعاظ للخدمة فى كنائس السريان الأرثوذكس، وجاء ذلك نتيجة لتوطيد أواصر التعاون والتآخى ، وأوفد الآب داود السريانى لمقر عمله الجديد فى يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٦٦ .

وفى ٢٦ / ٦ / ١٩٦٨ بعد دفن رفات القديس مار مرقس فى المزار الذى أعد لذلك فى الكاتدرائية المرقسية الجديدة بأرض أنبا رويس ، وعلى المذبح فى الهيكل الكبير اشترك البطريرك الانطاكى فى صلاة القداس الإلهى مع غبطة البابا المعظم أنبا

كيرلس السادس والأنبا تاوفيلس مطران هرر الاثيوبى وعدد من المطارنة ، وسافر للاسكندرية حيث حضر الاحتفالات الكبيرة التى أقيمت بالكاتدرائية المرقسية بالاسكندرية مساء يوم ٢٧ / ٦ / ١٩٦٨ .

† † †

ولعظم شأن القديس ساويرس الذى تذكره الكنيسة القبطية فى بجمع القداس بعد القديس العظيم مار مرقس كاروز الديار المصرية وتضعه مع الابطال المجاهدين أثناسيوس وكيرلس الكبير وديسقورس ... وتعتبره الكنيسة السريانية « التاج » ، ونظراً للقرارات التى اتخذت فى الاجتماعات الاخيرة بين الكنيستين السريانية والقبطية والوحدة بينهما فنا بنشر هذه السيرة المطرة.

وجدنا لها مراجع كثيرة حبشية وسريانية ويونانية ولاتينية وقبطية وانجليزية وفرنسية ومخطوطات عربية - لكن لم تظهر للنور سيرة كاملة مطبوعة بالعربية :

(١) النصوص الحبشية (مع ترجمة لها بالانجليزية) نشرها :

Edgar J. Goodspeed, Asst, professor in the University of Chicago.

The Conflict of Severus, patr of Antioch, by Athanasius. : فى كتابه

W. E. Crum مع مقدمة للعالم الأثرى العالمى الدكتور

(٢) النصوص السريانية (مع ترجمة لها بالفرنسية) نشرها :

M. A. Kugener, Dr. en philosophie et Lettres

"Vie de Sévère D' Antioche par : فى كتابه

Zacharie le Scholastique.

(٣) Sévère, patr. D' Antioche, Textes Syriaques, publiés, traduits et annotés, par Jean Superieur du monastére de Beith Aphthonia.

(٤) نصوص يونانية :

Textes Grecs relatifs à Sévère.

نشرت فى :

Patrologia Orientalis Tome II fascicule 1 & 3.

(٥) مقالات ومواعظ منشورة فى الباترولوجيا :

Patrologia Orientalis St. Severus of Antioch (letters).

(٦) A collection of letters of Severus of Antioch from numerous Syriac manuscripts, edited and translated by E. W. Brooks.

(٧) Les Homiliae Cathedrales, patr, Orientalis.

(٨) Les Homiliae Cathedrales de Sévère d' Antioche Traduction Syriaque de Jacques D'edesse.

A. Homilies XCIX A C III.
B. Homilies L, II - L' V II.
C. Homilies L, XXVII.

(٩) مخطوطة ٢٩٩ ميامر دير السريان العامر تتضمن سيرة القديس كاملة .

إن هذه المراجع الوفيرة - علاوة على بعض مراجع أخرى - كافية أن تظهر سيرة هذا الأب ومقالاته وعظاته فى مجلد ضخم جدير بمثل هذه الشخصية الكبيرة التى رفعتها الكنيسة . لكن هذا العمل يحتاج لزمان وجهد طويل إذا نشرت سيرته وأقواله وتعاليمه وعظاته . وقد اعتمدت فى إصدار كتابى هذا على بعض المراجع وبالأخص مخطوطة دير السريان العامر رقم ٢٩٩ ميامر والنسخة الحبشية الانجليزية التى نقلتها من المتحف القبطى بالقاهرة وعلى ما نشر بالمراجع السريانيـــة التى نشرت بالفرنسية والتى تتضمن حياة القديس ، وقد تم ترجمتها جميعها كاملة ، وأيضاً على النصوص اليونانية المتعلقة بالقديس الأنبا ساويرس عن :

Patrologia Orientalis

الجزء الثالث الكتاب الأول والثالث والمترجمة للفرنسية .

أما باقى المراجع التى تتضمن مقالاته وعظاته النفيسة فهى فى الواقع هامة جداً ونافعة - وسيفرد لها كتاب خاص يظهر قريباً إن شاء الله جارى اعداده .

النصوص التى وردت فى هذا الكتاب

(١) النصوص الحبشية والانجليزية والقبطية .

وجدت سيرة الأنبا ساويرس بطريرك انطاكية بالنص الحبشى فى مخطوطتين بالمتحف البريطانى القسم الشرقى رقـــم ٧٧١و٧٧٣ ، وقد نقلنا السيرة عن النسخة رقم ٧٧٣ وهى التى أختارها الناشـــر والذى ترجمها عن الحبشية للانجليزية من ص ٥٩١ - ٧١٨ فى كتابه .

"The Conflict of Severus, Edgar J. Goodspeed; Asst. professor, University of Chicago".

وهذه النسخة أكثر دقة وصحة ومن أقدم النسخ كما قـــرر الناشر حيث قال :

"The Ethiopic text here presented is in general precisely that of the oldest manuscript!"

وقد أهتم بأمر هذه النسخة الدكتور الأثرى العـــالمى W.E. Crum صاحب القاموس القبطى الانجليزى أعظم قاموس شامل فى العالم كله .

وقد كتب تعليقا هاماً على مقدمة الناشر ذكر فيه أنه طابق المخطوطة الحبشية على مخطوطتين باللغة القبطية باللهجة الصعيدية بالمتحف البريطانى فوجدهما مطابقتين تماماً للنص الحبشى لناشره مما يغنى الباحث عن الرجوع إلى المخطوطات القبطية الصعيدية...

قال دكتور Crum ما ملخصه .

« ... أثناء اجراء فهرست للمخطوطات القبطية فى المتحف البريطانى وجدت قصة البطريرك ساويرس عن مخطوطتين بالصعيدية عن أقدم المخطوطات وبمطابقتهما ومراجعتهما على المخطوطة الحبشية المنشورة هنا تبين أنهما من مصدر واحد ومتشابهتان ، وبالبحث توصلت إلى أكثر من مخطوطة . وُجدت مخطوطتان فى باريس كما وُجدت أخرى فى متحف Borgea ، وإحدى هذه المخطوطات قديمة ترجع إلى القرن الثامن أو التاسع ، وقد أضيفت إلى هذه النصوص الصعيدية مخطوطة باللهجة البحيرية أحضرت من أديرة وادى النطرون تدل كتابتها على أنها كانت حوالى سنة ٩٠٠ م » .

« أما عن المخطوطات العربية فإنه يبدو أنه لا يوجد فى أوربا أى أثر لنصوص عربية ... والمخطوطات الخمسة التالية هى التى أشار اليها فى مقدمته :

1) Paris Ms, Copte I29, fol 118 (Cod. B) .

2) Zoega Catalogue
Paris Ms. Copte 129, fol. 120, 121, 119 Cod. B.

3) British Museum Or. 3581 - Catalogue No. 349.

4) British Museum. Add. 14740, A. fol. 20 (Cod. C) .

5) Paris Ms. Copte 129, fol. 118 .

وقد اعتمدنا كثيراً على النسخة الحبشية الانجليزية لأهميتها وقدمها **ونقلناها عن المتحف القبطى فى مدى بضعة شهور .**

(٢) النصوص السريانية واليونانية واللاتينية والعربية .

كنا نرغب الاكتفاء بالنسخة الحبشية وبميمر دير السريان العامر رقم ٢٩٩ لكن وجدنا من الضرورى الاطلاع على باقى النصوص السريانية واليونانية المترجمة إلى الفرنسية المتضمنة سيرته ، **وقد نقلنا هذه النصوص عن الجمعية الاثرية بالقاهرة وتم ترجمتها جميعا .**

ويقول الدكتور م . ا . كيجنر عن النصوص السريانية عن القديس أنبا ساويرس :

« المؤلف الذى ننشره تحت عنوان، نصوص سريانية متعلقة بحياة ساويرس بطريرك انطاكية سوف يظهر فى ثلاثة كتب ـ

الأول الذى نقدمه يتضمن النص السريانى والترجمة الفرنسية لحياة أنبا ساويرس لزكريا الأديب .

الثانى يتضمن النص والترجمة عن أنبا ساويرس ليوحنا الايغومانوس فى دير بيت أفتونيا .

الثالث عن المنشورات المختلفة التى تركها الكتاب السريانيون عن هذا البطريرك الشهير - ومقدمات وتعليقات » .

« السيرة التى ألفها زكريا والسيرة التى ألفها الايغومانوس يوحنا كتبتا أصلا باليونانية ولكن النص اليونانى فقد . ولحسن الحظ قد احتفظ لنا الأدب السريانى بترجمة جيدة جداً . وصلتنا السيرة الأولى فى مخطوط « ساشو » ٣٢١ من صفحة ١٠٩ إلى ١٣٥ ، ووصلتنا السيرة الثانية فى الصفحات من ١٣٥ - ١٤٧ من نفس المخطوط « ساشو » ٣٢١ ، وأيضاً فى المخطوط رقم ١٧٢٠٣ من المتحف البريطانى . وهذا المخطوط لا يحتوى سوى ١٦ ورقة ولا يتضمن نص آخر غير حياة ساويرس للايغومانوس يوحنا ، ولو أنه فى هذا المخطوط الأخير نجد النص ناقصاً نظراً لاختفاء أوراق كثيرة .

السيرة التى ألفها الآب زكريا نشرها Spanuth سنة ١٨٩٩-

سنة ١٩٠٠ م فى مجلة الشرق المسيحى الجزء الرابع ص ٢٤٣ - ٣٥٣ و ٥٤٤ - ٥٧١ والجزء الخامس ص ٧٤ - ٩٨ .

وطبعة سبانوت التى نفدت الآن قد عملت بعناية كثيرة ، ولكنه أمكننا أن نضيف اليها بعض التحسينات ... ونص هذه السيرة من الصعب فهمه ، وقد اجتهدنا لإعادة تشييد الأصل اليونانى فى بعض المواضع وتوصلنا هكذا إلى فهم أجزاء كثيرة غامضة .

ليس أن كل صعاب النص قد تم حلها ولكننا نعتقد أننا نجحنا فى أن نخفض بنسبة كبيرة الصعاب التى تقبل الحل ...

السيرة التى ألفها القمص يوحنا لم تنشر بعد إلى هذا اليوم ولكن M. Nau قد لخصها فقط فى نهاية ترجمته لسيرة أنبا ساويرس التى ألفها زكريا (١) .

أما المذكرات عن ساويرس فالكثير منها سوف ينشر لأول مرة .

والمقدمة والتعقيب شاملان. ففى المقدمة درس لكل المسائل

(١) مجلة الشرق المسيحى ص ٢٠٣ - ٣٠٢ ترجمة M. Nau لحياة ساويرس التى ألفها زكريا وملخص السيرة التى ألفها القمص يوحنا قد ظهر أيضاً عن E. Leroux فى باريس سنة ١٩٠٠ .

الأدبية التى تتعلق بالمستندات المنشورة أما فى التعقيب نقدم كل الاستعلامات التاريخية التى تؤكد هذه الوثائق وتبين قيمتها للمؤرخين .

أما الجزء الثانى لسيرة القديس أنبا ساويرس التى رواها القمص أنبا يوحنا رئيس دير أفتونيا فهى أيضاً للناشر .

M. A. Kugener, Chargé de Cours à L'université de Bruxelles .

Suivi d'un Recueil de Fragments Historiques Syriaques, Grecs, Latins et Arabes ...

وقد ذكر Kugener ما ملخصه :

« ... اننا ننشر حياة الأنبا ساويرس ليوحنا رئيس دير Beith - Aphtonia طبقاً لمخطوطتين الأولى مخطوطة برلين (Le Sachau 321(B والثانية مخطوطة لندن L' add. 17203 L ، وأنه يوجد خلاف قليل بين المخطوطتين ويمكن القول أن هاتين المخطوطتين نافستان ولكن النص الذى ننشره هو مخطوطة برلين لأنها أكثر قدما وبحالة جيدة وكاملة ، أما مخطوطة لندن ففيها بعض النقص ، محيفة فى الأول وأخرى فى الآخر وست صفحات من وسط المخطوطة فضلا عن أنه توجد بعض أوراق منها يصعب قراءتها .

ويقول : « راجعنا أيضاً مخطوطات أخرى عن حياة هذا القديس ، المخطوطة السريانية رقم ٢٨٤ بالمكتبة الأهلية بباريس وهى صورة طبق الأصل من مخطوطة الفاتيكان رقم ١٦٢ وقد أهتم بنشرها المسيو F. Nau مع مخطوطات أخرى متعلقة بحياة القديس ، وراجعنا أيضاً مخطوطات أخرى كما أضفنا النصوص اليونانية واللاتينية المختلفة الخاصة بحياة القديس » .

وأضفنا علاوة على النصوص اليونانية واللاتينية ثلاث نصوص باللغة العربية (١) قام بنشرها .

M. V. Chauvin, professeur L' arabe à L'Université de Liege.

وترجمها الناشر Kugener - النص الأول عن رقم ٧٢٠٦ المتحف البريطانى ، النص الثانى عن الفاتيكان LXXIV ، والنص الثالث عن برلين .

ويقول M. A. Kugener بالنسبة للسيرة المتعلقة بالقديس :

« تضيف على المستخرج من النصوص اليونانية واللاتينية التى فى الملحق ثلاث نصوص عربية لم تنشر بعد ، كان م . ف .

(١) سنتناول النصوص العربية فى عملها وهى موجودة فى المرجع من ص ٣١٣ ـ ٣٧٦ .

سوفان أستاذ اللغة العربية بجامعة ليبج قد أهتم بنقلها وترجمتها لنا.

أول هذه المستندات مأخوذ عن المخطوط Carshuni ٧٢٠٦ بالمتحف البريطانى، والثانى مأخوذ عن مخطوط الفاتيكان العربى ٧٤، والثالث مأخوذ عن المخطوط Sachau ...

والنصوص العربية المتعلقة بالقديس سوف نوردها فى نهاية السيرة الاثيوبية التى كتبها أثناسيوس والتى أعدها للنشر M. E. J. Goodspeed.

أما عن مؤلفات القديس فهى كثيرة جداً وقد أوضحنا بعض مراجعها وهى تشمل:

١ — سير قديسين.

٢ — تفاسير للكتاب المقدس.

٣ — مقالات وعظات.

يوسف جميل

الفصل الأول

لمحة عن كنيسة انطاكية ورجالها

كان السلطان الأعلى فى الامور الروحية فى أيدى الرسل الأطهار لأنهم تسلموه من السيد المسيح فأسسوا الكنائس المسيحية التى أقاموها فى أثناء طوافهم لأجل الكرازة حسب وصية السيد المسيح. وكانوا يعتنون بادارة جميع الكنائس ويهتمون بشؤونها الروحية وبكل ما يتعلق برعاية المؤمنين وتعليمهم وتهذيبهم، ويحكمون فى المشاكل والمسائل التى كانت تظهر بين المسيحيين ويعتنون بمستقبل الكنيسة ويقيمون الأساقفة والقسوس لمساعدتهم فى الخدمات الدينية ويصحبونهم للمساعدة فى الكرازة... وفى عصر الرسل عمل الشمامسة أيضاً وكان أولهم الشهيد العظيم أسطفانوس رئيس الشمامسة، وبسبب الضيق الذى حدث بسببه فى أورشليم تشتت عدد ليس بقليل وجالوا مبشرين بالكلمة حتى أنطاكية.

ومن سفر الاعمال يرى أن القديس بطرس الرسول كان حاضراً فى المجمع الرسولى المنعقد فى أورشليم وذلك أن قوماً من اليهودية انحدروا إلى أنطاكية وكانوا يعلمون هناك بضرورة

الختان ، فرؤى أن يرسل من أورشليم مع بولس وبرنابا اناس آخرون لبحث هذا الامر . وفى هذا المجمع الأول دارت مناقشات لأجل الذين فى الامم منها أن نير الختان أعتبر أنه فى غير حاجة إليه لأجل المسيحيين (أع ١٥ : ٧ - ١١) ورؤى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الامم بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الاصنام والزنى والمخنوق والدم .

وكان لأنطاكية شأن كبير فقد كانت فى القرن الأول عاصمة سوريا ، وكانت أول مدينة بُشر فيها بالإنجيل للأمم .

أخذت الروابط المسيحية تقوى بالدعوة إلى العمل فى أنطاكية وكان بها فى الكنيسة أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان ولوكيوس القيروانى ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس الربع وشاول ، وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهم إليه - فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الايادى ثم أطلقوهما أع ١٣ : ١ - ٣ .

أرسلت كنيسة أورشليم سنة ٤٣ م إلى انطاكية برنابا الممتلىء من الروح القدس ومن الإيمان وانضم إلى الرب جمع

كثير . فتوجه إلى طرسوس وانضم مع بولس وتوجها إلى أنطاكيه وترددا معا سنة كاملة فى أنطاكية وعلما جمعاً كثيراً حتى أن التلاميذ دعوا مسيحيين فى أنطاكية أولا .

والقديس بولس جاب القرى يعلم الامم والشعوب وينقف عقولهم ويهذب أخلاقهم ليسمو بهم إلى الحياة الحقيقية فأسس الكنائس وعلم التلاميذ وقاسى من الأتعاب والضربات والسجون والميتات والجلد والرجم والضيقات متحملا كل شىء من أجل السيد المسيح .

ولما حصلت تلك المجاعة الشديدة الشاملة أيام كلاوديوس قيصر سنة ٤٤ م عزم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسلوا معونة إلى الإخوة الساكنين فى اليهودية ، وأرسلوا إلى المشائخ على أيدى برنابا وشاول أع ١١ : ٢٢ - ٣٠ ، وبعد أن أتما خدمتهما رجعا من أورشليم إلى أنطاكية وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس .

وأخذت أعمال الرسولين تقوى وتنتشر أكثر فأكثر وتوثقت روابط المؤمنين وانحدر بولس وبرنابا إلى قبرص ولما إجتازوا فى المدينة إلى بافوس وجدا رجلا ساحراً كذابا اسمه بار يشوع كان مع الوالى سرجيوس بولس ، فهذا الوالى دعاهما

يسمع كلامها فقاومها الساحر . أما بولس وكان ممتلئا من الروح القدس . . . قال له ها إن يد الرب عليك وتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين. فسقط عليه ضباب كثيف وطفق يدور ملتمسا من يقوده . فلما رأى الوالى ما حدث آمن متعجباً، ثم ابحر بولس وبرنابا إلى برجه بمفيليه ومنها إلى أنطاكية .

ولقد أورد سفر الاعمال لمعلمنا لوقا البشير - وهو من مدينة أنطاكية - الكثير عن كنيسة أنطاكية ، وكان أول مسيحى أنطاكى هو نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة .

إن أنطاكية لها تاريخ قديم جداً فى تاريخ الكنيسة وكانت تعتبر أول مركز للديانة المسيحية بعد أورشليم ويرجع تأسيس الكرسى الانطاكى إلى القديسين بطرس وبولس، كما كان القديسان برنابا ولوقا فى طليعة المبشرين فى أنطاكية . وأخذت الديانة المسيحية تنتشر وكلمة الرب تنمو وتزدهر .

وازدان تاريخ البطريركية الأنطاكية بعدد كبير من القديسين العظام الذين يفخر بهم العالم المسيحى كله والذين أثاروا المسكونة بمؤلفاتهم التى لا تزال معينا لا ينضب ومصدراً من المصادر الغنية ، أمثال الشهيد القديس أغناطيوس (القرن الثانى ، والقديس يوحنا ذهبى الفم الانطاكى الأصل (القرن الرابع) ،

والقديس العظيم أثناسيوس الانطاكى صاحب هذه السيرة والقديس يوحنا الدمشقى وهو من أكبر لاهوتيى الكنيسة فى القرن السابع . . .

وكانت الكنيسة الانطاكية ترعى المسيحيين فى بلاد سوريا وفينيقيه وفلسطين وكيليكيه بآسيا الصغرى وقبرص وما بين النهرين إلى أقصى بلاد الفرس ، وازدهرت فى بلاد الفرس فى أواخر القرن الثالث المسيحى ، وكانت كنيسة فارس فى ذلك الوقت تابعة للكنيسة الانطاكية فى سوريا ، وأخذت تمتد حتى وصلت إلى بقاع كثيرة فى أنحاء العالم .

ونشر السوريون المسيحية فى كثير من الأقطار وكان نفوذهم كبيراً فى كثير من كنائس العالم ، فقد تولى أسقفية باريس « سورى » سنة ٥٩٦ م ، وفى أنجلترا تولى الأسقفية « ثيؤدورس السورى » كما قام السوريون بدور هام فى نشر المسيحية فى بقاع الصين ، فكان فى الصين حوالى سنة ٨٢٣ م مطرانيـة وبضع كنائس وترجمت فى ذلك الوقت كتب دينية مسيحية إلى اللغة الصينية . . . كما انتشرت فى بقاع أخرى .

أما الآن فإن عدد السريان الأرثوذكس يبلغ حوالى مليونان منهم حوالى مليون فى كنيسة ملبار بجنوب الهند والمليون الآخر

موزع بين سوريا ولبنان والعراق وتركيا والأردن وأمريكا ، ومركز البطريركية فى حمص بالإقليم السورى . ولهم بالإقليم السورى ثلاث ايبارشيات وبلبنان ايبارشية واحدة وبالعراق أربع ايبارشيات وفى تركيا ثلاث ايبارشيات وفى القدس واحدة وايبارشية بأمريكا الشمالية ، وأخرى بأمريكا الجنوبية . . .

أما الكنيسة فى الهند الآن فهى ١٤ ايبارشية برئاسة جاثليق وبها ألف كنيسة ، و٧٠٠ مدرسة أحد وبها مدرسة أكليريكية خاصة . أما المدرسة الإكليريكيـــة الرئيسية فمقرها الموصل بالعراق . . .

وفى يوم ٢٢ / ٧ / ١٩٥٩ حضر إلى القـــاهرة الشماس الهندى الأرثوذكسى « بولس فيرجيس » دبلوم فى اللاهوت . وزار الدار البطريركية بالقاهرة ، وفى مساء الأحد ١٩٥٩/٧/٢٦ ألقى بمعهد الدراسات القبطية كلمة بالانجليزية . كما وفد سنة ١٩٥٦ القس فيليبس والشماس صموئيل وادمن .

وقد عقد مجلس الكنائس العالمى دورته الثالثة فى عاصمة بلاد الهند من ١٨ نوفمبر إلى ٥ ديسمبر سنة ١٩٦١ وعقـــد المؤتمر فى قاعة فسيحة اجتمع فيها ٢٥٠٠ شخصاً بين رئيس أساقفة ومطران وأسقف وكاهن وعلمانى من مختلف الأجناس والألوان

والطوائف ومثل الكنيسة القبطية وفد برياسة المتنيح أنبا يؤنس مطران الخرطوم . . .

وفى القرن الثانى قام بنتينوس إلى الهند ونشر المسيحية بها وكان إكتشافه للنسخة الأصلية لإنجيل القديس متى حدثاً فريداً وقد أحضرها معه إلى المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية وقام العلماء فيها بترجمتها ومراجعتها على النصوص الموجودة فى ذلك الوقت.

واستمرت صلة الكنيسة القبطية بكنيسة الهنـد إلى القرن الثامن الميلادى ، وفى عهد البطريرك أنبا سيموؤن الأول ٤٢ الذى تولى الكرسى « ٦٨٩ - ٧٠١ » أتى إليه كاهن من الهنـــد يطلب منه سيامة أسقف آخر للهند ، غير أن ثمة صعوبات حالت دون تحقيق هذه الرغبة ممـــا أدى إلى إنقطاع ذكر هذه الصلة الروحية بين الكنيستين منذ ذلك التاريخ ...

ثم اتصل أبناء كنيسة الهنـد بعد ذلك بالكنيسة فى ايران وبعـــدها بالكنيسة السريانية الارثوذكسية بانطاكية حيث استمرت صلتهم الروحية بها حتى الآن .

† † †

الفصل الثانى

الرهبنة السورية والأديرة

كانت الرهبنة السورية معروفة منذ القرون الأولى - بفضل الرهبنة المصرية - فقد أقبل على القديسين أنطونيوس وباخوميوس كثيرون من المؤمنين الإنطاكيين وأخذوا عنهما النظم الرهبانية وعادوا إلى فلسطين وسوريا والرها وآسيا الصغرى . . . وأقدم الرهبان الأنطاكيين كما يبدو هو القديس ايلاريون الكبير [1] فإنه بعدما أخذ قواعد النسك عن القديس أنطونيوس الكبير عاد إلى فلسطين سنة ٣٠٧ م واعتكف فى برية غزة ، وبعد أن قضى عشرين سنة إلتف حوله كثيرون فانتشرت الرهبنة فى فلسطين وتعددت الأديرة فيها وأقام ايلاريون نفسه فى إحدى هذه الأديرة فالتف الرهبان حوله .

(١) ذكر كتاب N. and P. Nicene Fathers Vol. VI st. Jerome ص ٣٠٦

" . . . For as yet there were no monasteries in Palestine, nor has anyone known a monk in Syria before the sainty Hilarion . It was he who originated thismode of life and devotion and who first trained men to it in that province".

ويذكر صوزومينوس المؤرخ أن عدداً من النساك كان يقيم فى براري سوريا الشمالية وسوريا الوسطى كما كان هناك أيضاً بعض الراهبات . . . [1]

والقديس ساويرس ترهب فى دير الشهيد لاوندیوس بالقرب من طرابلس الشام سنة ٤٨٨ م ثم لجأ إلى برية جيرين ثم التحق بدير رومانوس فى « Laura » [2] مايوما وأنشأ ديراً وأقام به زماناً .

أما عن الأديرة السريانية فى الوقت الحاضر فيوجد دير مار متى قرب الموصل بالعراق ودير الزعفران بتركيا ، وقد كان مركز الكرسى البطريركى قبل ذلك ، وتوجد بعض أديرة قديمة أخرى فى تركيا ، كما انه يوجد دير فى القدس باسم مار مرقس .

وقد لمع فى سماء برية شيهيت عدد كبير من النساك السريان ذوى الروحانية العميقة فضلا عن المعرفة اللاهوتية الغزيرة والتاريخ المجيد مثل القديس العظيم مار آفرام السريانى فى القرن الرابع وتعتز به الكنيسة القبطية كما تعتز به الكنيسة السريانية وتحتفل بأعياده - وهو المؤسس لدير الرها فيما بين النهرين . . .

(١) من كتاب كنيسة أنطاكية د . أسد رستم .

(٢) راجع كتابنا البطريرك القديس أبا اسحق من كلمة « Laura » .

كذا القديس مار اسحق المتوحد فى القرن السادس صاحب الميامر العديدة والمؤلفات النسكية التى تعتبر من أغنى المراجع الكبيرة فى النسك والتعبد . . .

وتمتاز مؤلفات هذين القديسين باللغة السريانية بالعمق والقوة .

أيضاً العلامة مار ديونيسيوس يعقوب بن الصليبى مطران مدينة آمد الذى لمع نجمه فى القرن الثانى عشر صاحب المؤلفات الرائعة . يقول فى مقدمة أحد مؤلفاته « الدر الفريد فى تفسير العهد الجديد » .

« انه بعد ما اكملنا تفسير التوراة والانبيا، مختصرا حسب الإمكان أتينا لتفسير الحديثة ولم نقل من ذاتنا شيئاً بل إنما نحن نبنى على أساس البانين قبلنا بناء روحانياً فائدة للنفس ، ثم لما تأملنـــا فى تفسير الإنجيل عن المعلمين السابقين ـ القديس افرآم السريانى والقديس يوحنا ذهبى الفم والقديس كيرلس وبعدهم موسى بن الحجرى ويوحنا أسقف دارا وغيرهم كثيرون من المعلمين ، ورأينا أنه ليس من الممكن أن نجمع تفاسيرهم فى كتاب واحد فيأتى الكتاب خارجا عن الحد والقياس ويحتاج إلى أسفار وكتب كثيرة ، أردنا قطف المعانى المخفية فى مضمون تفاسيرهم باختصار حتى لا نجعل مطولاتهم ثقيلة على السامعين كالشبع والأكل الكثير الذى يثقل المعـــدة ، ولكى يستيقظ الغافلون والكسالى للقراءة والهذيذ المعتدل وأنت أيها الراغب مع السامعين صل علىّ أنا يعقوب بن الصليبى فإنى حسب طاقتى عملت . . . »

† † †

الفصل الثالث

ميلاد القديس ساويرس ونشأته

يقول M. A. Kugener في مقدمة كتابه بالسريانية عن الترجمة الفرنسية [1] :

"Sévère, patr. D' Antioche, Textes Syriaques publiés, traduits et annotés, II par Jean - Beith Aphthonia .

« فيما يلي سيرة أخرى لحياة القديس ساويرس بطريرك أنطاكيه كتبها يوحنا رئيس الدير المقدس ببيت أفتونيا حسب طلب التقي الآب دوماديوس الذي صار أسقفاً فيما بعد ، والخطاب في أول الكتاب موجه إلى هذا الأخير .

« إني أمدح محبتك للمعرفة وهواك للخير يا رجل الله . إنك لا تمل أبداً من الأمور الإلهية ، ولكن كلما ذقت منها اشتقت أن تتذوق أكثر . أنت تعرف فعلا أن التوقف عن عمل الخير معناه الرجوع إلى الشر ، وعلى النقيض من ذلك فإن البدء في السعي إلى الخير هو الهروب من الشر .

(١) يؤخذ مما ورد في نهاية السيرة انها كانت أصلا باليونانية حيث ورد ما نصه : « تمت سيرة حياة القديس ساويرس بطريرك انطاكيه التي ترجمها من اليونانية الى السريانية رجل الدين التقي القديس مارسرجيوس بن شاربا » .

وبعد أن اهتممت بكتب ساويرس الكبير وبعد أن أعتبرت رفعة لاهوتياتها وما تضمنته من العقائد الأرثوذكسية وتفاسير للكتب المقدسة ومقالاتها التعليمية الغزيرة مثل ماء البحر ، أردت أيضاً أن تعرف قصة حياة هذا الرجل قائلا في نفسك أن الروح القدس لا يتكلم هكذا على لسان رجل عادي ولكن بالحري على لسان رجل تسمو أقواله عن الفكر البشري . ولما تبينت أننا محرومون من رجال فصحاء حكماء ، فقد تركوا هذا العالم لأن الشر فيه قد زاد ولا يوجد من يستطيع أن يكتب سيرة حياته ، صرت في حيرة عظيمة ، وشجعني أن أقوم بهذا العمل أنا الصغير ولست حجة في الآداب . فعلت ذلك مثلي مثل من يكلف سمكريا بصنع تاج ملكي . فإن قوة الابصار للعين الجسدية حينما تحاول أن تنظر إلى الشمس مواجهة لا تظلم مثل العين الروحية حينما تحاول أن تتأمل في حياة أناس مثل ساويرس. فلكي يقوم أحد برواية سيرته يجب أن تكون له ملكات من منزلته ، يستطيع معها أن يجد العبارات التي تتفق ورفعة شأن أعماله » .

من ذا الذي لا يصفق بالتجاسر وعدم التعقل حينما يراني أقدم على عمل يفوق قوتي ، الا اذا كنت تطلب رواية عادية

وبسيطة أكثر من أعماله ومعجزاته ... ولكنى أتضرع إلى الرب يسوع الذى نعبده لكى يقوينى فى عملى، لأنى متعب ولأن روحى ضعيف كشيخ يتسلق بركبه الضعيفة مرتفعات رملية .

حينما أتأمل تدرج الوظائف التى شغلها أنبا ساويرس فى حياته أخالنى أرى سلم أب الآباء يعقوب الذى كان يلمس السماء. هذا السلم الذى كان يستند إلى ما كان رمزاً للتقدم فى الفضيلة ويصل إلى أبواب السماء ، وكان الملائكة يصعدون وينزلون عليه ... أما الناس الذين كانوا يصعدون عليه فكانت الملائكة تقودهم وتساعدهم ، وكان الرب يستقبل الذين أكملوا سيرهم . هكذا أيضاً هذا الرجل العظيم ، فقد ارتفع من الدرجات الأولى للفضيلة إلى قباب السماء . ولن نخطىء إذا قلنا أن ساويرس أيضاً قد اختير من بطن أمه - مثل بولس - من الذى له سابق العلم الذى يختار منذ البطن أولئك الذين يستحقون ويرفض الذين لا يستحقون كما هو مكتوب بخصوص يعقوب وعيسو حينما كانا لا يزالان فى البطن ، كان الواحد محبوباً والآخر مكروها . وبالتأكيد فإن العبارات : « اختير بولس من البطن » وأيضاً «أن الخطاة قد أبعدوا منذ الأحشاء» فهى ترمى إلى معنى واحد.

ولكنى أرى ذهنى قد عمته أشعة حياته فينزع إلى السكوت

مثل ما يهرب إلى ملجأ . . . إننا يجب ألا نقول سوى الحق ، وبالأخص حينما نكتب للعارفين ، فالأحداث تغلب الكلم ، لأن الفضيلة هى فى الروح ولا تكون هباء . فلا نيأس من ناحيتنا إذا كنا لا نستطيع أن نتوصل إلى الكمال . فضلا عن ذلك فليس أحد من القريبين منا قد تقدم لكى يكتب شيئاً ... ولكن حان الوقت لكى نكتب روايتنا . نبدأ بالوقت الذى بدأ به حياته طالبين معونة الله وصلوات الذى نتكلم عنه » .

وذكر النص الحبشى الأنجليزى ومخطوطة دير السريان رقم ٢٩٩ ميامر فى مقدمة سيرة القديس التى كتبها الآب أثناسيوس:

« من لا يتعجب من سيرة القديس العظيم ساويرس ... لما حاولت أن أصف فضائل هذا الآب وأتكلم عنها أخذت بشدة كمن نقل إلى السماء وقلت كما قال داود النبى ، لسانى قلم الكاتب الماهر مزمور ٤٤ : ٢ .

إنى أذكر فضائل هذا القديس الذى هو أفضل من كثير من البشر ، نطلب إليك المعونة لعبدك أنا ولدك أثناسيوس لأن إسمك دهن فائض على خرافك ، لكن بالنسبة لأعداء الإيمان فهو مثل السيف القاطع .

ميلاد القديس :

يقول كاتب السيرة الآب أثناسيوس :

ان القديس ساويرس كان من أثينا [1] وان أبى كان قساً ، وكان جدى أيضاً من أهل مدينته، وكان أباً مغبوطاً وهو قس [2] اسمه أثناسيوس أيضاً ، وكان يصحب أنبا ساويرس الأسقف فى مدينته الذى هو جد ساويرس البطريرك . وكان الآب الكبير ساويرس أحد أساقفة مجمع أفسس المائتين . وكان جد البطريرك ساويرس لأبيه له معرفة جيدة بجدى أنا أيضاً وله معه صداقة كثيرة .

رؤيا بشأن مولده

وحدث أن أنبا ساويرس الكبير أسقف مجمع أفسس بينما

(١) ذكرت ذلك النسخة الحبشية الانجليزية أيضا مخطوطة دير السريان رقم ٢٩٩ ميامر ذكرت أنه فى اثياس (ويبدو أنها اياس أى أثينا) اما كاتبه كنيسة مدينة الله للدكتور أسد رستم فقد ذكر أنه ولد فى سوزوبوليس من أعمال يسديه بآسيا الصغرى حوالى ٤٥٩م ، كما ذكر ذلك كتاب الآب يوحنا رئيس دير القلوبساو النكسار المستعمل قراءته فى الكنيسة القبطية ، وهذا ما رجحه أكثر المصادر التاريخية .

(٢) ذكرت المخطوطة الحبشية ان جد اثناسيوس كان من أواخنة الكنيسة واسمه اثناسيوس .

كان مع جدى أن اختطف عقله وغاب حسه مقدار ساعة وجدى يبصره ثم قال وجدى يسمعه « يا رب هوذا أنا عبدك أفعل معه ما ترى وقوى اسمك يا رب ، لا تقوى المراطقة » . فقال له القس جدى : « أطلب إليك أيها المغبوط ساويرس أن لا تخفى عنى ما رأيت لانك تعلم محبتى لك » ، فأجاب الأسقف وقال: هذه الرؤيا التى رأيتها أنا أشرحها لك . سمعت صوتاً يقول : « قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء [1] » ، ان ساويرس سيثبت أركان الايمان المسيحى ، ثم ان الصوت الإلهى أعلمنى أيضاً قائلا انك سوف تنتقل فى نفس السنة إلى آبائك ، والولد الذى يولد لولدك هو يثبت صخرة الأرثوذكسية بكلامه الحق لكنه سوف يقاسى تعباً عظيماً ويرد كثيرين من الضلال ، ويدعى اسم هذا الفتى ساويرس مثل اسمك . . . وقد أعلنت لك هذه الرؤيا .

هذا ما حدثنى به الآب أثناسيوس جدى ولم يكن وُلِدَ الآب الجليل ساويرس ، ومن بعد سنة صار مولده .

أما الآب القمص يوحنا رئيس دير أفتونيا فيحدث عن عائلته وعن مولده فيقول :

(١) أش ٤٢ : ٣

كان أبواه يعدان من الأكابر والأعيان ، وكانا يمتازان بثروتهما وسلطتهما ، وكانا من سلالة ساويرس الذى كان أسقفاً على هذه المدينة ، وكان من جملة المائتى أسقف الذين قطعوا مع كيرلس الكبير بحرم نسطوريوس الشرير . وسمى ساويرس صاحب هذه السيرة على اسمه . . . اننا لا نعرف بطرس ويوحنا عن طريق بلدهما أو عائلتيهما ولكننا تعلمنا منهما أن نعرف يونا وزبدى وبيت صيدا .

ومن ناحية أخرى ألا توجد اللآلىء على شاطىء البحر فى داخل قوقع ، والحجارة الكريمة فى المناجم . ان الناس العظام اشتهروا بأنفسهم وليس ببلدهم أو عائلتهم . بهذه الطريقة نعرف القديسين منذ زمن طويل ، فيتميز أخنوخ بالنعمة ، ونوح بالكمال ، وابراهيم بالايمان ، وموسى وداود بالحلم ، وايليا بالغيرة والحماس ، واليشع بضعف روح معلمه ، والمعمدان بالعظمة بين المولودين من النساء ، بطرس ويوحنا بالمحبة . . .

ولذلك فبالنسبة لساويرس سوف تقوم أعماله بمهمة التعريف به .

† † †

الفصل الرابع

القديس ساويرس الشاب وعماده

يستطرد الآب يوحنا فيقول عنه :

« لما كبر بنعمة الله وأصبح شابا ، درس العلوم الدنيوية التى من شأن من يعرفها الافتخار بطبيعتها كسلاح للذين يستعملونها جيداً ، وفى الوقت نفسه سبب هلاك من يسيئون استعمالها . فهى مثل السيف الذى ليس شريراً من ذاته ولكن منزلته فى إرادة الذين يستعملونه .

وبعد أن أكمل ساويرس دراساته فى العلوم الفلسفية بالاسكندرية انطلق إلى بيروت لكى يدرس فيها العلوم القانونية. وهناك كان موضع إعجاب كل زملائه من أجل صلابة طبعه والجد فى الدرس ومن أجل ذكائه ، وفاق الجميع بمعرفته وانطلاقه وتعمقه فى دراساته . ومنذ ذلك الحين توقع الجميع ما سيكون عنه وتنبأوا عن سمو شأنه فى المستقبل، كما تعرف الزروع الكبيرة عندما تنبت .

ومن ذلك الحين أيضاً تمت له الكلمة المقدسة مثل لوط البار الذى كانت روحه البارة تتألم كل يوم لأجل خطايا الناس ،

ولم تستطع مسرات هذه المدينة أن تغير من سلوكه الحازم ولا أن تخطف منه طهارته » .

وفى نصوص سريانية مترجمة للفرنسية ومدون عليها ملاحظات قام بها ك . م . كوجنر دكتور فى الفلسفة والآداب يتحدث زميل للدراسة فى الاسكندرية عن القديس أنبا ساويرس وهو الأديب زكريا فيقول :

« لقد عرفته فى فجر حياته وهو بعد شاب يافع ودرست معه بالاسكندرية قواعد اللغة والبيان والفلسفة وأنى أود أن أتكلم عن ساويرس الذى له سمعة كبيرة عند الذين يقدرون الخير دون تحيز .

لقد كنت مع القديس ساويرس منذ شبابه الأول فى الاسكندرية وفى فينيقية نسمع نفس المعلمين ونشترك فى نفس الاهتمام ، والذين كانوا يدرسون معنا لايزالون على قيد الحياة وعددهم كبير يمكنهم أن يشهدوا بصحة روايتى .

ساويرس الشهير بيسيدى الأصل (نسبة إلى بيسيديا) ولد فى سوزوبوليس بآسيا الصغرى . انها البلد التى تشرفت باقامته فيها بعد البلد الأول التى طردنا كلنا منها بعد تعدى آدم والتى

يدعونا الرسول الإلهى أن نبحث عنها من جديد حيث يقول : « لأن ليس لنا هنا مدينة باقية (عب ١٣ : ١٤) ، أيضاً قوله عن المدينة التى أساساتها صانعها وبارئها الله عب ١١ : ١٠ .

قد رباه أبوان ممتازان وكانا من سلالة ساويرس الذى كان أسقفاً على مدينة سوزوبوليس التى ولد فيها فى زمن مجمع أفسس الأول الذى اجتمع فيه نسطور الكافر . وبعد وفاة والده الذى كان فى مجلس شيوخ المدينة أرسلته والدته التى ترملت مع أخويه اللذين كانا يكبرانه إلى الاسكندرية لكى يدرس قواعد اللغة والبيان واليونانية واللاتينية .

وفى هذا الوقت كنت أقيم أنا أيضاً فى هذه البلدة لنفس السبب . ذهب الثلاثة إخوة أولا إلى الفيلسوف يوحنا ثم إلى سوباتير الذى كان مشهوداً له فى علم البيان .

وحدث انى كنت أنا أيضا أذهب لنفس المعلم فى هذا الوقت أيضاً ، وأيضاً إلى ميناس ذى الذكرى الطيبة المشهود له بالعلم والاستقامة والاتضاع والطهارة ومحبته للفقراء .

وفى أثناء دراساتنا فى الاسكندرية كنا نعجب لصفاء روح

ساويرس ومحبته للعلم . وكنا نعجب كيف كان فى عمق يتعلم ويتفوق بلباقة واجتهاد ومواظبة ، وفى دراسة قوانين العلماء القدماء كان يحاول أن يقلد أسلوبهم البراق ، ولم يكن يشغل تفكيره شىء غير هذا ، ولا يتعزى بشىء آخر مما كان يتعزى به عادة « الشبان ، فكان يكرس ذاته للدراسة ويبتعد من أجل حماسه لها عن الاهتمام بالأمور الباطلة .

ولقد كنا متأملين لأن شاباً ذكياً مثل هذا لم يكن قد أخذ المعمودية الإلهية بعد . وقد أبدى ساويرس إهتمامه بدراسة مقالات الفيلسوف ليبانيوس الذى كان معجباً به ، وكذا أعمال العلماء القدماء ، ومقالات القديسين باسيليوس واغريغوريوس الأسقفين الشهيرين ... وكنا ننصحه بأن يقبل إلى العماد حتى يصل عن طريق البيان الذى كان له إلى حكمة هؤلاء وفلسفتهم... فلما تعلم ساويرس أن يعرف كتبهم شغف بها كلية . وسمع وهو يمدح الخطابات الموجهة من باسيليوس إلى ليبانيوس وردود ليبانيوس ، وكان يعزو ما اكتسبه إلى خطابات القديس باسيليوس ، وكان من نتيجة ذلك أن عكف ساويرس منذ ذلك الوقت على قراءة كتب باسيليوس الشهير وتأملاته .

ثم يقول واضع السيرة :

وأن ميناس صديق الذى كان موضع إعجاب الجميع قرر فى نبوة تحققت بالفعل : « ان ساويرس هذا سوف يتألق بين الأساقفة مثل القديس يوحنا ذهبى الفم الذى أؤتمن على قيادة كنيسة القسطنطينية . ان الله وحده الذى يعرف المستقبل كان يعلن هذه الأشياء عن ساويرس عندما كان لايزال شابا نقياً .

ثم يعود الأديب زكريا يروى عن صديقه فيقول :

« وبعد هدم الأوثان بزمن قليل توفى ميناس التقى الذى كان قد تنبأ لساويرس بأنه سوف يصير عظيما ، وانطلق نحو الذى كان يحبه مزيناً بفضائل كثيرة وبتولية الروح والجسد ومحبة القريب وبالتواضع وبمحبة كاملة وبأناة كبيرة . وفى هذا الوقت كنت مريضاً وكان الوثنيون يظنون أننا نأخذ عقابنا من أجل ما فعلناه بأوثانهم فى غيرتنا من أجل الديانة المسيحية ومن أجل حرقنا للأوثان فأشاعوا أنى أنا أيضاً سوف أنال القصاص . وبعدما شفيت بأعجوبة من قبل رحمة ربنا يسوع المسيح كنت ألقى خطاب تأبين أمدح فيه ميناس الشهير وذكرت فيه هدم الأصنام الوثنية، ورويت فيه خبر حرقها بالنار أمام كل شعب المدينة ، وكنت أشيد بفضائله ومحبته للفقير التى كانت موضع إعجاب الجميع حتى الوثنيين . وفرح ساويرس وسر كثيراً عند سماعه الكلمات التى

قلتها ضد الوثنيين وكان فرحه هكذا عظيما حتى أنه كان يصفق لى أكثر من كل الحاضرين .

وفى نفس الوقت كان الوثنيون الذين دعونا للحضور للاستماع والذين كانوا قد حضروا دون أن يعلموا ما سوف يقال كانوا يبكون على بلاياهم وصرخ أحدهم وهو ملوء غيظاً « إذا كنت تريد أن تتكلم ضد الآلهة فلماذا أتيت بنا بالقرب من قبر صديقك ؟ » وقد إضطررت أن أروى هذه الأمور مبيناً طهارة سيرة ميناس وأصدقائه - هؤلاء الذين كانت لهم غيرة ومحبة وبالأخص صاحب هذه السيرة ، وسنروى أيضاً خبر سفره إلى فينيقية .

ويروى الأديب زكريا ذلك فيقول :

« حينما كان ساويرس الشهير جداً على وشك أن يترك الاسكندرية ويذهب إلى فينيقية لكى يدرس القانون حتى يصير محامياً شجعنى لكى أذهب معه ولكنى قلت له انى أحتاج لدراسة أوفر لمقالات الفلاسفة وأصحاب البلاغة بسبب الوثنيين الذين يمجدون أنفسهم ، ويتكبرون من أجل معرفتهم إياها حتى نحاربهم أيضاً علانية فى هذا المضمار . وسبقنى ساويرس إلى فينيقية بسنة واحدة . وبعد مضى هذه السنة ذهبت بدورى إلى « بيروت »

لكى أدرس القانون المدنى وكنت أتوقع أن أجد بعض المتاعب وأن أتحمل ما يتحمله الطلاب الذين يحضرون حديثاً إلى هذه المدينة لكى يدرسوا القانون ...

دخلت أول يوم فى مدرسة لاونديوس بن « أودكسياس » الذى كان حينئذ يدرس القانون وكان يتمتع بسمعة كبيرة عند كل الذين يهتمون به ووجدت ساويرس جالساً مع كثيرين آخرين بالقرب من المعلم لكى يستمع إلى الدرس . فى ذلك الوقت جال بخاطرى أنه سيكون منصرفاً عنى ولكنى رأيت أنه كان على وفاق طيب نحوى . بادرنى بالسلام مبتسماً مسروراً ولذا شكرت الله لأجل هذا التعارف . مضيت إلى الكنيسة المدعوة كنيسة القيامة لكى أصلى ثم ذهبت إلى كنيسة والدة الإله الموجودة بالقرب من الميناء ، وبعد أن انتهيت من صلاتى أخذت أتمشى أمام الكنيسة . وبعد ذلك بقليل اقترب منى رجل الله ساويرس وابتدرنى بمرح قائلاً : « ان الله قد أرسلك إلى هذه المدينة بسببى . قل لى إذن كيف أخلص » حينئذ رفعت عينى نحو السماء فرحاً وشكرت الله الذى ألهم ساويرس هذه الفكرة وجعله يتفكر فى أمر خلاصه ثم قلت له : « بما أن سؤالك يتعلق بالأمور المقدسة فهلم بنا وأمسك بيده وأعلته أنى سأقوده إلى هيكل

والدة الإله وهناك سوف أخبره بماذا علمتنا الكتب المقدسة وما علمنا إياه الآباء القديسون » ، فلما سمع هذه الكلمات سألني ساويرس إذا كانت معي كتب باسيليوس الكبير واغريغوريوس الشهير والحكماء الآخرين فرددت بأني أحضرت كثيراً من مؤلفاتهم . حينئذ جاء معي إلى هيكل والدة الإله ، وبعد أن تلا معي الصلوات الواجبة سألني نفس السؤال الذي سألني إياه أولا، فأظهرت له رحمة الله علينا مبتدئاً من سفر التكوين وذكرت له كيف أن الله بعد أن خلق كل شيء وبعد أن أخرجنا أيضاً من العدم وضع أبوينا الأولين في الفردوس وأعطاهما بصفتهما أحياء عقل ويتحكمان في تصرفهما ، شريعة الخلاص بخصوص ما يجب أن يفعلاه ـ فخالفا الوصية بخديعة الحية وخسرا هذه الحياة السعيدة واستبدلا الحياة الأبدية بالموت الذي توعدتهما به الشريعة سلفاً .

كنت أقصد آدم وحواء وكانت صورتها في الهيكل لابسين قصاناً من الجلد بعد طردهما من الفردوس . ثم أريته بعد ذلك كل مكر وكل قوة الشياطين التي أسرتنا بطاعتنا لإبليس الذي كان على رأس كل تمرد ، وذكرت له رحمة الله نحونا في جوده إذ لم يسمح بأن تهلك خليقته التي لو كانت حفظت وصية الله

لظلت غير فاسدة وغير خاضعة لآلام الطبيعة البشرية بعد خروجها من العدم وأخذت الحياة الأبدية .

ثم استطردت قائلا : بعد الوصية الطبيعية أعطانا الله أيضاً الشريعة المكتوبة بواسطة موسى وأعان طبيعتنا أيضاً بواسطة أنبياء قديسين كثيرين . ولما رأى أن الجرح يحتاج إلى دواء أعظم زارنا كلمة الله الخالق بتجسده . نزل شمس البر المشرق من الأعالي إلينا نحن الجالسين في الظلمة وظلال الموت . حبل به من الروح القدس ومن مريم العذراء الطاهرة وولدته وهي عذراء . وكان ذلك البرهان الأول الذي أعطاه عن الوهية ميلاده العجيب فائق الطبيعة بدون زرع بشر . أراد بعد ذلك أن ينتزعنا من قبضة الشيطان ذلك المتمرد الذي كنا سلناه نفوسنا وقبل بإرادته الصليب من أجلنا . سلم جسده للموت فدية عنا وقام في اليوم الثالث بعد ما كسر قوة إبليس والشياطين الأشرار أعوانه وكذلك شوكة الموت . وأقامنا معه وأظهر لنا الطريق الجديد للخلاص الذي يقود إلى السماء ... وأسس كنيسة واحدة جامعة على كل الأرض وعلينا أن نتوب ونلجأ اليه بواسطة العماد الخلاصي الذي يرمز إلى القبر .

ولما قدمت أيضاً براهين أخرى كثيرة على الوهية السيد

المسيح والأناجيـــل مليئة بها ، قلت لساويرس : « يلزم إذن يا صديق أن يلجأ إليه كل الناس الأذكياء بواسطة العماد المحيي » فقال لي : « حسناً تكلمت ولكن الآن يجب أن أقرر وأحدد خط سير .لأني ههنا أهتم بدراسة القوانين » فقلت له : « إذا كنت تريد أن تصدقني أو بالحري أن تصدق الكتب المقدسة وحكماء الكنيسة العالمين فاهرب أولا من المناظر المخزية ومن سباق الخيول ومن المسارح التي تظهر فيها حيوانات تتصارع ضد فقراء بائسين . ثم احفظ جسدك طاهراً وقدم كل يوم لله صلوات المساء في الكنائس المقدسة بعد دراسة القوانين ، فإنه لائق بنا الذين لنا معرفة الله أن نتمم واجبـــات المساء في الكنائس المقدسة ... » وعند ساويرس أن يفعل وأن يحافظ على ذلك وقال : « فقط لن تجعل مني راهباً لأني طالب أدرس القانون وأهوى التعمق فيه » ثم قال : « والآن إذا كنت تريد شيئاً آخر فقل ، وبما انك تهتم أيضاً بالخلاص فسوف أعرض عليك مشروعا به تتعلم البلاغة والفلسفة والكتب المقدسة واللاهوت دون أن يتعارض مع دراســـة القـوانين ودون أن يتطلب وقتاً كثيراً » .

قلت : « وما هو هذا المشروع ؟ إذا كان من الممكن تنفيذه

دون إهمال دراسة القوانين إذن نحصل على خـــيرات كثيرة وبالأخص في علم اللاهوت الذي هو سيد العلوم جميعها » قال : « اننا ندرس القوانين كما علمت طوال الأسبوع فيما عدا الأحد والسبت بعد الظهر ، فيمكن بعد موافقتك أن نخصص هذا الوقت لدراسة كتب حكماء الكنيسة أثناسيوس الكبير وباسيليوس واغريغوريوس ويوحنا وكيرلس ... الخ » .

وابتدأنا عملنا بما كتبه الكنسيون المختلفون ضد الوثنيين ثم قرأنا مؤلفات القديس باسيليوس ومقالاته ورسائله . . . ثم مؤلفات الثلاثة اغريغوريات اللاهوتيين ومؤلفات يوحنا وكيرلس الشهيرين ... وكنا نتردد على الكنيسة مساء كل يوم ومعنا صديقنا افاجريوس الذي كان قد تعلم في مدارس انطاكية وكان يختلف إلى كنيسة أول الشهداء القديس اسطفانوس ، وهذا كان يشتاق للرهبنة لكن والده أرغمه على الذهاب إلى فينيقية لكي يدرس القوانين في الوقت الذي ذهبت فيه أنا أيضاً . وفي نفس الوقت حضر صديقنا أليشع إلى بيروت لنفس السبب ، وقد انضم الينا كثيرون أثناسيوس الذي من الرها وفيلبس الذي من بترا وأناطوليوس الاسكندري ، كذلك زينودور وكان أصلا من غزه واسطفانوس الفلسطيني الذي جاء فيما بعد أيضـــاً إلى

بيروت ... وهكذا كنا مجموعة كبيرة اتفقنا فى الرأى الواحد والعمل الواحد .

وحدث أن بعض طلاب الحقوق فى بيروت اشتهروا جداً بأعمال ، السحر جورج القسالونيكى وخريسورياس من إحدى مدن آسيا واسكاييودانوس من هليوبوليس وكان يسندهم يوحنا المشهور باسم « فولون » والذى كان أصلا من طيبة فى مصر وكانوا لايفتأون من أن يخترعوا أموراً شريرة . . . وذاع خبر أنهم كانوا يتآمرون لكى يذبحوا أثناء الليل فى السيرك عبداً اثيوبياً يملكه هذا الرجل الذى من طيبة فى أعالى الصعيد - بهذه الجريمة المموتة كانوا يريدون أن يرضوا الشيطان ... افتادوا ذلك العبد إلى السيرك فى نصف الليل لتنفيذ غرضهم ، لكن فى الوقت الذى كانوا فيه مزمعين أن يصنعوا هذه الجريمة شفق الله على هذا العبد البائس ودبر أن أناساً يمرون من هذا المكان فى ذلك الوقت ففزعوا من تجاسرهم الردىء ، وهكذا وجد الاثيوبى فرصة للهروب والنجاة بحياته ...

عماد القديس :

حدث فى هذا الوقت أن أحد زملاء ساويرس أعطاه كتابا من تأليف باسيليوس الكبير أسقف قيصرية الكبادوك نجم العالم

أجمع . وكان باسيليوس فى هذا الكتاب يرد على خطابات ليبانيوس الفيلسوف الانطاكى .

فبعد أن قرأ ساويرس الكتاب ، تألم بالروح لانه علم ما هى الفلسفة الحقيقية وما هى الفلسفة الباطلة ومن ذلك الحين أهتم بالفلسفة الصحيحة حتى عرف فساد تعاليم كل الهرطقات وشرورها .

والواقع أن الحق يجذب إليه كل الذين يستحقونه أكثر من المغناطيس الذى يجذب إليه الحديد .

بعد ذلك ابتدأ يدرس الخطب الكبيرة لباسيليوس واغريغوريوس ، وقرأ فيها قرأ الخطب التى ألقياها عن العماد .

وفى إحدى خطب القديس باسيليوس كان يهدد الذين لم يتعمدوا هكذا قائلا : **« انت تتخلف ، انت تتردد ، انت تتأخر منذ صباك وانت تتعلم التعاليم المسيحية ولم تلتصق بعد بالحق . تتعلم كثيرا ولم تبلغ بعد الى المعرفة ، تفتش فى تجارب وتلاحظ امورا عن اخرين الى ان تصير شيخا ، متى تصير مسيحيا ؟ متى تعترف بانك منا ؟ . فى العام الماضى كنت تنتظر هذه اللحظة والآن أيضا تنتظر العام القادم . احترس اذن لئلا تفاجا وانت تصنع وعودا اطول من الحياة ، فانت لا تعرف ماذا سيجلبه الغد ، فلا تعد بما ليس لك ، فاننا ندعوك للحياة أيها الانسان فلماذا تهرب**

من الدعوة ؟ ندعوك الى شركة الحياة فلماذا تفلت منك هذه الفرصة ... » .

ومن ناحية أخرى قرأ فى إحدى رسائل القديس اغريغوريوس « ... لكن هل تعيش فى العالم وتتدنس بالاعمال العامة وتتألم لضياع رحمة الله ؟ » . ان العلاج بسيط أهرب من الاجتماعات غير اللائقة واربط بنفسك ريش النسر ، أو بعبارة أصح ريش اليمامة . ما هى الشركة بينك وبين قيصر أو أعمال قيصر ؟ سوف تقف حيث لا توجد الخطية ولا يوجد السواد . حيث لا يوجد الثعبان الذى يلدغ فى الطريق ويعوقك عن السير فى طريق الرب . انزع روحك من هذا العالم . إهرب من سدوم إهرب من الحريق . اتخذ طريقك دون أن تنظر إلى الوراء خوفا من أن تتحول إلى عمود ملح . أهرب على الجبل خوفا من أن تهلك أنت أيضاً » .

فلما سمع هذه الكلمات صار قلقاً للغاية لانه لم يكن بعد قد أخذ العماد الإلهى حسب عادة بلده . وكانت هذه العادة متأصلة فيهم مثل قانون ، وهى ألا يعمد أحد قبل نمو لحيته إلا إذا إضطره الموت.

وروى الآب زكريا أن صديقه إفاجريوس كان يؤنبه بشدة قائلا : « لماذا يتأخر ساويرس هكذا عن أن يعتمد وبعد ما حصل على هذا العلم ؟ » وذكره إذا كان يهتم بخلاصه فليفعل بحيث ينال النعمة الإلهية فوراً .

ويقول الآب زكريا :

« وبعد هذا الحديث ذهبت إلى ساويرس وابلغته بكلام التقى افاجريوس ، فرافه حديثه وصمم على التنفيذ فوراً وانطلق إلى كنيسة لاوندويوس الشهير فى طرابلس الشام حيث اعتمد وكان إفاجريوس أشبيناً له ، وكان كاهن الكنيسة يدعى القس ساويرس أيضاً .

وذهبنا أنا وايفاجريوس وأليشع وأناطولوس وزيتودور وآخرون مع ساويرس إلى كنيسة الشهيد لاوندويوس .

ومن هذه اللحظة اقترب إلى الله بإيمان عظيم ومجد الناس الله بسببه .

وبعد اليوم السابع كان عليه أن يخلع الملابس البيضاء التى ترمز إلى النقاء والطهارة ، حسب العادة وفعلنا .

أما الآب أثناسيوس[1] فقد روى عن قصة عماد القديس مايلى:

(١) من المخطوطة الانجليزية ومن مخطوطة دير السريان رقم ٢٩٩ ميامر .

« ولما خرج القديس من مدينته كانت نعمة الله معه وكان هناك رجل متقدم فى الروحيات قريب من تلك المدينة ويدعى أليشع ، فلما قرب إليه الآب ساويرس خرج المتوحد لملاقاته مسرعا ، ولما قرب منه قال له يا ساويرس يا ساويرس أفرح أفرح يا بطريرك ، يا رئيس جميع الأساقفة . . فلما دخل بيعة الشهيد ابتدأ يصلى وتام فى موضع من البيعة وكان معه فى تلك الليلة أربعة من أصدقائه تلاميذ الفلسفة ، وقد صار أحدهم أسقفاً فى وقت ما ثم خالف الأمانة المستقيمة ورده القديس ساويرس إليها بكتبه ورسائله .

هؤلاء الأربعة تراءوا فى وقت واحد كأن لاونديوس الشهيد قائماً أمامهم مثل أمير جبار ، وكانت المنطقة التى يتمنطق بها مرصعة بالجواهر ، ولما نظروه بهذا المنظر خافوا فقال لهم لا تخافوا ... وعندئذ غاب عنهم الشهيد الجليل .

وبالغداة قبل شروق الشمس دخل قس البيعة ودعاهم باسمائهم وقال تفرح يا ساويرس ويفرح الحكماء الذين معك أيضاً ، ان الله سيخلص على يديك يا ساويرس نفوسا كثيرة وقد أنعم عليك بهؤلاء الثلاثة أصدقاء . وينبغى أن تنال المعمودية لتعمل بنعمة الله وتكون منيراً بالفضائل ، ليس فى الوصايا فقط بل

وفى العلم أيضاً ... ثم قاموا وتبعوا القس واعتمدوا ...

ولما قرب وقت الاعتراف بالأمانة ليدهنوا كما جرت العادة بالدهن الجليل ، نظر كل القيام بإعلان يداً فوق المعمودية نازلة على رأس ساويرس ، وسمع جميع الشعب صوت يقول مستحق مستحق مستحق ، فتعجب الكل وقالوا ما رأينا قط لمن تعمد مثل هذه الآيات ولا مثل هذا الصوت الإلهى ... فلما اعتمدوا ولبسوا ثياب المعمودية المعدة لهم كعادة أهل الشام ، وكان فى ذلك الزمان لا يعتمد إلا من كان عمره ٣٠ سنة إلا مرض قبل ذلك ويخاف عليه من الموت . فلما كملت لهم سبعة أيام بعد المعمودية انطلق كل واحد إلى سبيله » .

بعد نوال ساويرس نعمة الدياد تقدم فى الروحيات جداً على مثال أبيه الروحى فكان يصوم كل يوم ولا يقضى فى الكنيسة وقت صلاة المساء فقط لكن يقضى فيها أيضاً معظم الليل حتى ضعف جسده ، وفى نفس الوقت كان يتعمق فى دراسة القانون ... ودرس الحقوق كأكثر ما يكون الدرس .

وانطلق بعدئذ إلى بلده واشتغل بالمحاماة زماناً ثم قرر أن يمضى إلى أورشليم لزيارة الأماكن المقدسة وهناك أخذ يتعبد لله من كل قلبه وأخذت فكرة التكريس للخدمة الله تراوده بقوة وأخذ يفكر جدياً فى استبدال ثوب المحاماة بثوب الرهبنة المقدس .

الفصل الخامس

رهبنته

رؤى بشأن القديس :

(١) رؤية ساويرس للشهيد لاوندیوس عن رهبنته [١] .

إن القديس ساويرس بينما كان يقرأ فى كتب الفلسفة ظهر له الشهيد لاوندیوس وقال له حسبك هذه القراءة ، هلم أتبعنى لكى تتعمق فى دراسة قوانين الله التى كان يقرأها الآباء حتى أيام نياحتهم . انهض يا سويرس وأعد نفسك للعمل الجدى فى الكنيسة واسلك فى الرهبنة لتعرف الجهاد بقوة واحمل ترس الإيمان الذى به تقدر أن تطفىء جميع سهام الشرير الملتهبة وخذ خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله (أفسس ٦ : ١٦ ، ١٧) ، وعند ذلك تطفىء نار المراطقة وتقاوم الأرواح النجسة . انك سوف تمضى إلى أنطاكية وتصرخ مثل أسد زائر وتهرب من أمام وجهك الجموع المقاومة للإيمان ...

وعليك الآن بالاهتمام بدراسة كتابات القديسين باسيليوس وغريغوريوس ويوليانوس وأغناطيوس واثناسيوس الرسولى والكسندروس وابيفانيوس وكيرلس الحكيم وديسقورس العظيم . وبعد أن خاطبه لاوندیوس الشهيد بهذا الكلام انصرف عنه » .

(٢) رؤيا أحد المتوحدين عنه [١] .

١ ـ ويهمنا أن نذكر الرؤيا الإلهية التى رآها أحد النساك بخصوصه فى بيروت . وذلك أن أحد المتوحدين الذى يسكن خارج المدينة وكان مشهوراً بعلمه للمستقبل وبنسكه ، رآه فى حلم ممسكا « كوريكا » فى يده وينظف نافورة مملوءة بالطين والتن . وكان ساويرس قد أتى إليه لكى يصلى فعرفه حالما رآه بسبب الرؤيا التى كان قد رآها وقال للذين كانوا معه : « هذا سوف يصير عظيما بين الحكماء شهيراً بين الأساقفة ، سوف يطهر الأرض من المراطقة » .

ب ـ رؤيا أخرى عن القديس :

إن الروح القدس أيضاً أعطى العلمانيين موهبة التنبؤ عنه لحينما كان لا يزال يتردد على مدرسة الاسكندرية حدث أن رجلا

(١) من النسخة الحبشية الانجليزية .

(١) عن سيرة القديس للاب يوحنا القمس .

مشهوراً بين كل الناس بطهارة سيرته وقوة إيمانه وكرم طبعه ومحبته للعفة والفقراء ، وبالاختصار كان مسيحياً بالعمل والحق وكان يدعى ميناس . هذا لما رأى ساويرس تعجب وقال لبعض أصدقائه : « هذا سوف يرتفع مثل السحاب فوق كل الأرض وسوف يتألق نوره بين الأساقفة وسوف يسق جميع الناس مياه المعرفة مثل الكبير يوحنا ذهبي الفم بطريرك القسطنطينية ... وقد تأكدت هذه النبوات وغيرها التي قيلت بشأنه .

† † †

رهبنة القديس :

قليلا قليلا رفعته النعمة الإلهية وارتقى فى السيرة الطاهرة الملائكية وقرر العزم على الرهبنة والانطلاق إلى احدى الديارات للاقامة فيها .

كان يصلى إلى الله ليعينه على خلاص نفسه وكان يداوم ليل نهار على ذلك كما كان يطالع الكتاب المقدس بلا إنقطاع متذكراً أن مخلصنا لم يسمح لأحد تلاميذه أن يدفن أباه وقد دعا الذين يحيون العالم أمواتاً لأنهم لا يشتركون فى حياتهم الحقيقية . قرر أن يخرج من العالم واتخذ طريقه إلى دير الشهيد لاونديوس .

ذهابه الى دير الشهيد لاونديوس :

إنطلق إلى دير الشهيد لاونديوس بفلسطين - بالقرب من طرابلس الشام سنة ٤٨٨ م - الذى كان مشتاقاً للخروج إليه خصوصاً بعد الرؤيا التى ظهرت له ، كما أنضم إليه فى هذا الدير بعض أصدقائه ممن كانوا يتعلمون معه الفلسفة . وسرعان ما تقدم فى ميدان الحرب الروحية كما تقدم فى القديم داود - كلاهما بيده سيف : داود بالمقلاع والحجر تمكن من ضرب الفلسطينى وقتله ، وساويرس فى شدة مقاومته للهراطقة . كان الله معه وبقوة رسالة الإنجيل قاوم اضطهاداتهم .

وهكذا ترك المحاماة واختار الأعمال الرهبانية والفلسفة الروحية ، وكما كان متضلعاً فى البيان وعلوم اللغة ومتبحراً فى الفقه والمحاماة ، كان يتعمق فى بحث الأسفار المقدسة ويمعن فى التنقيب فى كتب الآباء القديسين .

وبعد أن مكث زماناً فى دير الشهيد لاونديوس إلتهبت روحه وإشتاقت نفسه للتوغل فى حياة البر والقداسة فاختار طريق التوحد فى الصحراء كما اختاره أعاظم القديسين - أولئك الذين سكنوا الجبال والمغائر وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم فى السيد المسيح .

توحد القديس فى صحراء ايلوتيروبوليس :

ذكرت النصوص اليونانية المتعلقة بالقديس فى :

" Patrologia Orientalis, Tome III fasc. I&III "

والمترجمة للفرنسية عن توحده :

« أما ساويرس فبعد أن احتمل بشجاعة الفلسفة الإلهية لمدة ما فى دير الشهيد لاوندیوس ، اجتذبه حب الأماكن المقفرة وحياة التوحد التى أنشأها أنطونيوس الكبير (أو آخر يشبهه فى الفضيلة) فترك مقر الحياة المشتركة وذهب إلى صحارى ايلوتيروبوليس (Eleutheropolis) وكان يصحبه اثناسيوس الذى من الرها ، والذى كانت له ذات الحمية وذات الحماس . وتحمل شظف العيش زماناً قام فيه بأعمال تقوية للغاية وتقشف تقشفاً زائداً ، وأحب هذه الحياة الصعبة والشاقة وهى عنده من أجل السيد المسيح هينة ميسورة .

وروى القمص يوحنا رئيس دير افتوليا عن توحده ونسكه قال:

« وغبة من القديس فى النسك الوائد وفى الهدوء الذى هو باب التأمل ومنه نشاط الروح الذى به يرتبط الإنسان بالله، ترك ديره وانطلق إلى الصحراء القريبة من ايلوتيروبوليس ، وهناك حقق رغبتـــه وتوسع فى نسكه . وكان يتعب جسده بالصوم

والسهر ودراسة الكتب المقدسة وبالعمل حتى مرض ، وكان شعلة حماس وغيرة حتى إبان مرضه وكان يكتب أقوالا رسولية فى شرح مستفيض ، منها :

(ا) بقدر ما يفسد إنساننا الخارجى بقـــدر ما يتجدد الإنسان الداخلى .

(ب) المسيح هو حياتى والأفضل أن أموت .

(ح) حينما أكون ضعيفاً فحينئذ أكون قوياً .

(د) ان الذين وجب عليهم أن يخوضوا الحرب يحتاجون أن يكونوا أقوياء وأصحاء ، فكم يكون على الذين ليس عليهم أن يجاهدوا ضد الدم وضد الجسد فحسب ، بل ضد الأرواح الشريرة أن يقمعوا جسدهم لأنه يعمل أكثر من الشياطين ضد النفس ، وهو سلاح فى يد الشياطين ضد الروح إذا لم يقمع .

انطلاقه الى دير رومانوس الشهير :

وبعد أن توحد فى البرية فترة من الزمن ومارس تقشفات عنيفة هزل جسمه وانتابته الأمراض فمضى إلى دير رومانوس حيث يجمع الإخوة القديسين وهناك أخبر بواب الدير الآباء رومانوس وملخيلوس ويوحنا وقال لهم بالباب فيلسوف يدعى

ساويرس يريد أن يقيم معكم ، فلما سمع رومانوس اسم ساويرس الفيلسوف قام مسرعا وكل من معه وخرجوا لقائه ، وما أن وقع بصره عليه حتى ابتدره قائلا :

« إفرح يا راعى الأنفس ومدبر الأجساد ، أنت دعامة للحق ، أنت ايليا الذى هدم صنم البعل ... تقوّ يا ساويرس الرب معك ... وأن الذى أنت عبد له قد أظهر لى عمله وعلمك فى هذه الليلة ومقدار كرامتك » .

رؤيا رومانوس

أما رؤية رومانوس فرأى كأنه فى صحـــراء لا زرع فيها ولا حرث مملوءة شوكا وحسكا وما لبث أن رأى إمرأة جميلة كانت دموعها تجرى على خديها وحررها ، ورثيابها ممزقة وهى حزينة باكية ، وبينما كان واقفاً كان إضطراب عظيم وسمع من يقول لرفيقه هوذا يأتى ساويرس ليقتلع الشوك من هذه الأرض ويقدس كرما للرب الصباؤوت وخاطبوا المرأة قائلين:

« لا تخافى أيتها المدينة انطاكية هوذا سيأتى ساويرس رجل مستقيم وسيبنى على أساس المجامع المقدسة » .

وسألت المرأة من كانوا يحدثونها ومتى يأتى ساويرس، قالوا لها إلى الآن لم تشبه خطايا بجمع خلقيدونية وسيأتى بعده .

هذه هى رؤية رومانوس وسيشرق ساويرس مثل الشمس فينير مصباح الإيمان الارثوذكسى ويضىء علينا ، ولن يضطرب من إضطهادات الحكام ولا يبالى بمجمع خلقيدونية وسيكون كل أضداده أمامه كلا شىء ...

وكان المغبوط ساويرس حزين القلب لما يسمعه وقال لهم : « إن كلامكم قد أقلقنى لأن الإنسان يجب أن يحزن إذا أكرم أكثر مما يستحق وأن الله عارف بذنوبى . إنى بائس أكثر من الكل ، وقد ظهرت أمامكم هكذا بسبب المعمودية التى نلتها ولولا ذلك لما قدرتم أن تنظروا إلىّ لكثرة أعمالى الرديئة [1] .

« تعلمون أنه لم يولد إنسان فى هذا العـــالم بلا خطية غير الكلمة الذى تجسد وصار إنسانا لأنه هو الله وهو الإنسان معاً وهو واحد لا اثنين ، فأما أنا فرجل خاطىء أكثر من جميع الناس » .

فلما سمعوا كلام القديس المتواضع قبلوه بفرح كمن وجد كنزاً فى حقل ...

واندمج الآب ساويرس فى سلك الرهبنة ورأى عمل الإخوة وفرح جداً وكان ينفرد للعبادة والصلاة .

(١) المخطوطة القبطية Paris Ms. Copte 129

أما عن استقبال رئيس الدير رومانوس له فكان كما يستقبل الآب ابنا عزيزاً وكما استقبل إيليا أليشع (١ملوك ١٩: ١٩-٢١)، وكما استقبل بولس تيموثاوس (اع ١٦ : ٣) وابتدأ يرشده إلى العمل والصلاة . بيد أنه كان من الصعب على ساويرس أن يباشر عمل الرهبان المعتاد هناك لأنه كان رقيق الجسم ... وكانت حياة الرهبنة وقتئذ صعبة ، فكان الرهبان يقضون كل وقتهم تقريباً فى الصوم وينامون على الأرض ويسهرون طوال الليل ويصلون بمداومة ويواظبون على حضور القداسات ، إلى جانب ذلك كان هناك العمل اليدوى ليعولوا أنفسهم ويساعدوا الفقراء، وكان كل منهم يتأمل فى الكتب المقدسة، وكانت طهارتهم عظيمة.

كان ساويرس منهوك القوى بسبب حياة الوحدة القاسية التى كان يحياها ، فنصحه الايغومانوس رومانوس رئيس الدير أن يخفف من نسكه وتقشفه ويهتم بجسده حتى يستطيع أن يمارس الفضائل وأقنعه باتباع هذه الطريقة .

وكان القديس ساويرس رغم مرضه يعمل باجتهاد حسب طاقته ولم يكن يحتقر العمل اليدوى بل يوجه إليه عنايته لكى يوفر الضرورى للفقراء والغرباء الذين يفدون إلى الدير . وكان ينصح الإخوة الرهبان بالمثابرة على العمل وأن يقتدوا ببولس

الرسول الذى كان يقول لتلاميذه ان حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان .

كان يعمل ويخاطب ذاته وهو يعمل قائلا : « ما أنت إلا تراب وعما قليل سوف تسكن القبر ، فدع عنك الكسل فهو يؤدى بنفوس كثيرة إلى الجحيم، وجيد أن تكون نشطاً مجاهداً لأجل السيد المسيح لكى ترث ملكوت السموات » .

وكان ينمو كل يوم كما كان صموئيل النبى ، كمثل شجر لبنان ، وكان نشطا فى جميع أعماله ، لم يهمل فى أمر ما البتة . وكان محبوباً جداً من إخوة الدير حتى أنهم كانوا يدعونه الآب ساويرس .

رؤيا راهب عن الآب ساويرس :

قيل أنه عند ما كان الآب ساويرس فى الدير مع الإخوة كان هناك راهب يثابر على فعل الخير فى غير توان ويقيم صلواته نهاراً وليلا وكان قوى الحفظ ، فبينما هو قائم يصلى مرة ظهر له ملاك الرب وقال له : « أنظر إلى هذه الأرض وتأمل ساحة الدير ترَ ما فيه . عندئذ رأى الراهب رجلين يمشيان نحو ساويرس ، لايقدر أحد أن ينطق بكرامتها واشراق وجوههما فكانت تلمع مثل الضوء الساطع، ورآهما يتحدثان مع ساويرس ويعلنان سر الأمانة الأرثوذكسية وكل كلمة قالاها كان ساويرس

يقبلها بانضـــاع ويشكرها لإرشادها إياه إلى الأمانة الأرثوذكسية » .

هذا ما نظره الأخ الراهب وقد قال للملاك الذى أطلعه على هذه الرؤيا « يا سيدى . من هما هذان الحكيمان اللذين يخاطبان الأخ ساويرس وهو متضع لهما ؟ » قال له الملاك : « أن أحدهما هو باسيليوس الكبير والآخر هو اغريغوريوس الناطق بالإلهيات وانهما يرشدان ساويرس إلى قواعد الإيمان لأنه سوف يكون حارساً للإيمان المستقيم وبعد زمان يرعى شعب عظيم فى انطاكية وفى المسكونة كلها ... » .

وذاع صيته مثل سحابة فى الشرق والغـــرب ، وهذا شأن الفضيلة تلبسها الشهرة بأعمالها الجميلة ، فكان كثيرون من رجال الدين والرهبـان يعرضـــون عليه المسائل فى تفسير الكتب والعقيدة ، بخطابات أو بأنفسهم ، وكان يعطى الجميع دون صعوبات الحل الذى يتفق وما يطلبون .

رهبنة بعض أصدقاء أنبا ساويرس

ولما علم الكثيرون من أصدقاء القديس ساويرس بقصته ، تركوا العالم والحقوا بالدير ليتعلموا الفلسفة الإلهية . فقد ذكر أن ستة من زملاء القديس قد مضوا إلى الدير حيث لبسوا الرداء

الرهبانى واحتملوا أتعاباً كثيرة وأتقنوا الفضائل [1]

وذكر أن شاباً من قيصرية فلسطين يدعى بطرس من عائلة معروفة وكان ضليعاً فى البـــلاغة والبيـــان ، انطلق إلى الآب ساويرس راجيا أن يقبله تحت طاعته ولكن ساويرس أشفق عليه ونصحه أن يعود إلى أهله ، ولكن الشاب فى تصميم كامل عزم على دخول الدير ، فتعجب القديس ساويرس جداً من قوة عزيمته وحماسه وتشاور بشأنه مع الآباء الرؤساء يوحنا الملقب بالكانوبى (نسبة إلى « أبو قير الحالية ») وتيودور الكبير ، ويوحنا الذى هرب من انطاكية لكى لايصبح فيها أسقفاً . . . فأوصاه هؤلاء [2] بأن لا يرفض النفوس التى قدمت ذواتها لله بهذا الفرح .

(1) Patr. Orientalis Tome II fasc. I & 38.

(٢) ذكر كاتب سيرة القديس ساويرس المقدس يوحنا من بيت افتونيا من هؤلاء ما يلى :

« سامحنى يا رجل الله دوماديوس إذا كنت أخرج هنا من الموضوع قليلا وإذا كنت أرغب فى أن أروى القليـل عن هؤلاء الرجال الجديرين بالأعجاب .

ان تيودور كان قد ترك هذه الحياة قبل وصولى بوقت قليل . أما يوحنا الأطاكى فكان فى مركز حرج للغاية . وقد عرفت أيضاً رؤساء الدير =

وليس هؤلاء فقط بل أقبل آخرون من مدن أخرى طالبين

= أليشع وأسطفانوس وفيليبس، وكانوا فصحاء متضلعين فى العلوم ، وقد امتازوا باهتمامهم بالحقوق ، وفى هذا الوقت نالوا شرف الكهنوت . ومرض أحدهم وهو أسطفانوس مرضاً خطيراً وترجى الآب يوحنا الكاتوبى أن يصلى ليخلصه الرب من جسده ، ليس ليأسه من الشفاء ، لكن لأنه كان متعجلا فى ذهابه إلى يسوع الذى يحبه ، فحزن الشيخ جداً لهذا الطلب وقال له ان إخوته لا يزالون يحتاجون إلى وجوده ومساعدته لا سيما وأنهم كانوا فى أشد الاضطهاد .

ولما كان يطلب إليه كثيراً قال له يوحنا : « لماذا تتعجل أن تتركنا يا ولدى ؟ » فرد عليه أسطفانوس « انه يليق أن أذهب وأكون مع المسيح » . فقال له يوحنا مرة أخرى : « ألك حياة حسنة ؟ أأنت مستعد للرحيل ؟ ألا تخشى الذين يقاتلون الأموات ويحاولون أن يأخذوهم ؟ » . ولما أجاب أسطفانوس على كل الأسئلة بأن له ثقة ، كانت صلاة واحدة كافية لكى ينال الخلاص .

ولما استعلمنا بخصوص الأحداث الخاصة بتيودور العظيم ، روى لنا الآباء الذين شاخوا روايات كثيرة . ولن أذكر منها سوى واحدة لكى لا أطيل الحديث كثيراً .

فى ذات يوم كان يمر بجانب قلاية أخ ناسك محب لله فاشم رائحة لذيذة . فنادى فى الحال هذا الأخ إليه وقال له : « لماذا تعمل هكذا قلايتك وتصنع مثل هذه الروائح التى لا تليق بسلوك الرهبان ؟ » فى تواضع عظيم قال الأخ إنه أخطأ واطرح على وجهه أمام رجل القديس . أما هذا فلم =

حمل نير الرهبنة ، وهكذا ذاع صيت أنبا ساويرس فى القداسة وجذب نفوساً كثيرة .

القديس ساويرس يشيد ديرا قرب غزه

بعد ما أستقر زماناً طويلا فى دير الشهيد رومانوس وبعد الابلال من مرضه اشتاق إلى الهدوء الذى كان ينشده . ذلك هو الخير للرهبان . وإذ كان قد اقتسم مع أخوته ثروة والديه الكبيرة وزع جزءاً منها على الفقراء وشيد بما تبقى ديراً بالقرب

= يتركه دون عقاب، ولكنه حكم عليه بأن يبقى أسبوعاً كاملا دون طعام مع السهر طول الليل .

فأخذ الأخ هذا التأديب كأنه أمر أبوى ، ولكن الله الذى يريد أن تبقى فضائل عبيده المستترة مجهولة ، أعلن للشيخ سر هذه الرائحة الذكية ، فأحضر من جديد الأخ إليه وأرغمه أن يقول له ما خبأه عنه . فرد الأخ: « لم أعطر قلايتى أبداً كما افتكرت أيها الأب المبجل ، ولكن فى وقت مرورك كان بطرس الكبير قد حضر إلى مادحاً أعمال وأتعاب حياتى » .

هذه إحدى الروايات العديدة التى يروونها عن تيودور الكبير ، وأيضاً كان تواضع أليشع يفوق كل ما يمكن أن يقال . فالكلام فعلا يقصر عن مدح من تزين بالتواضع .

ورآه أحد الأتقياء مرة وتعجب من حلاوة طبعه فقال مشيراً إليه أمام الحاضرين : « هذا هو آدم قبل الخطية » .

من دير آبائه بجهة مايوما Maiouma قرب غزه - وبنى فلالى لاستقبال الغرباء ، وكان كثيرون يأتون اليه للاستفادة من تعاليمه ومن كلمات النعمة التى كان موهوباً بها ، وعاش كثيرون فى طاعته ، ومما لا شك فيه إن كثيرين من أصدقائه انضموا إليه إذ جذبتهم سيرته الطاهرة وفصاحته النادرة وقد ذاعت فى جميع بقاع فلسطين.

† † †

الفصل السادس

جهاد القديس فى حفظ الايمان المستقيم

بعد أن تعبد القديس سنين طويلة فى الأديرة وفى الصحارى ورأى ما حدث من الإنشقاق والمحاربات الكثيرة للكنيسة من الهراطقة عزم أن يخرج عن عزلته وينطلق من وحدته ليدافع عن الإيمان المستقيم كما فعل القديس العظيم أنبا أنطونيوس إذ ترك عزلته وجاء إلى الاسكندرية مرتين ليشدد عزائم المؤمنين وليدحض بدعة أريوس الكافر ، كما انطلق الأنبا شنوده رئيس المتوحدين مع القديس العظيم كيرلس الكبير إلى مجمع أفسس لمحاكمة نسطور المبتدع .

قيل عنه أنه مضى دفعة ليستق ماء لحمل الوعاء على كتفه ومضى فلقيه الشيطان فى شبه رجـــل أسود أهرج وهو يمشى قدامه ويديه على رأسه وهو يبكى بصوت عال ويقول أنى أقمت قلقاً عظيما وإضطهاداً قوياً حتى تسببت فى إراقة دماء بريئة - وفى البغضاء والقتل والزنى جلبت ويلات كثيرة ، وأقمت إنشقاقات فى الكنيسة ،وقاومنى أغريغوريوس ثاومادرغس وأثناسيوس الرســـولى وباسيليوس وأغريغوريوس وأغنـــاطيـوس

والكسندروس وكيرلس وديسقورس، لكنى أخيراً بنيت فلكا فيه أصنع ما يرضينى ، وهو المجمع الخلقيدونى - واليوم جاء ساويرس الأسد المزمجر وسيغلب التنين ويسحق رأسه وأنا هو هذا التنين . . .

تسببت اوذكسيا فى إضطهاد القديس يوحنا ذهبى الفم ، واضطهدت بلخاريا القديس ديسقورس ، أما ساويرس فيريد أن يخرجنى . نظر القديس هذا وسمعه من الشيطان فقال له : « الله يزجرك . . . » وعند ذلك مضى عنه الشيطان .

(١) مقاومة يوليانوس الهرطوقى :

وعن النسخة الحبشية الإنجليزية قيل إن يوليانوس [1] الهرطوقى كتب رسالة إلى الآب ساويرس جاء فيها :

« . . . ولو إنى لم أرك ولم أقابلك منذ الأيام التى أقمت فيها معك فى Tiberias فإنى أرغب فى أن أراك الآن وقد بلغنى عنك إنك تركت تعقلك الأول وحكمتك التى تعلمناها سوياً ، ويقولون إنك تركت عنك تعاليم مجمع خلقيدونيه ونبذتهـــا ، وتبعت بجمع المائتين بأفسس وتعاليم كيرلس وديسقورس الذى نفى وقطع لأنه قارم تعاليم بابا رومه ليو « Leo » ، فإنتبه إلى نفسك وكن يقظاً وانظر إلى المجد الذى تركته ، فالشيطان يدخل فى قلوب الرهبان يقلقهم ، مريداً بذلك أن يقطع رجاءهم من الراحـــة والاستقرار الذين هم فيه فيحركهم لمثل هذا العمل ، وقد كتبت لك هذا وأنا أكبر منك سناً فى سلام الرب آمين . . . » .

ثم أن الآب ساويرس الغيور إيليا الثانى ثار لمجد الرب الصباؤوت حالما قرأ هذا الخطاب وتبين فيه مقاومته للسيد الرب ، فرد عليه رداً طويلا معنفاً إياه على مسلكه ومبيناً ضلاله . . . [1]

(٢) تجديف « كا لكسيليمس » :

وانطلق آخر بتجديفات كثيرة وكان يدعى Kelikselimos [2] وأعلن أنه سيحارب الروح القدس ، وقد رد عليه ساويرس

---

(١) من القسطنطينية وقد حرمه البابا تيموثاوس البطريرك .

(١) فى صحيفة ٦٠٩ وما بعدها من النسخة الحبشية الانجليزية ، كذا فى مخطوطة دير السريان ٢٩٩ ميامر وجدنا ألفاظا واردة لا تعتقد أن القديس فاه بها كقوله كيف أوفرك أيها العجوز الشرير والخبيث والمجنون الذى منذ صباه لم يدخر شيئاً من الصلاح لشيخوخته . . . إنى أرى انك أطلقت لسانك كالحية ضد القديسين كيرلس وديسقورس حفظة الايمان . . . وانك تختم رسالتك بالسلام والسلام بعيد عنك . . . الخ .

(٢) فى الحاشية ذكر أن المقصود هو " Felicissimus "

ردوداً مفحمة محرماً أعتقاداته وأنذره كما أنذر يوليانوس وسائر المراطقة أتباع الشيطان مبيناً عاقبة ضلالهم .

(٣) ارجاع ديونيسيوس عن ضلاله :

بعد هذا قام آخر يدعى ديونيسيوس الفيلسوف المتجبر وكان ساكناً معه فى الدير وأتى تعاليم مخالفة ، فلما سمع به القديس ساويرس رده عن طريق ضلاله وأعاده إلى الإيمان الصحيح مثل صياد ماهر .

طلب ساويرس لقاءه ولكنه خاف لئلا توبخ أعماله المنافقة فهرب من الدير إذ كان ساويرس كالأسد فى قوة حجته وكان ديونيسيوس يقول إذا وقعت فى يده وعرف فعلى فسيضطهدنى ، ولذلك خرج من الدير لكن الله المهتم بكل أحد لم يشأ أن يهلك هذا الإنسان ويضيع تعبه فما أن ابتعد عن الدير نحو ميل حتى رأى فى رؤيا جماعة من الشياطين متفرقين يقاتلون مثل البربر ، فقلق قلبه وحزن ولم يستطع المضى معهم وإذ وقف بعيداً ينظر إليهم ظهر له ملاك الرب بهيئة راهب وقال له : « لماذا تركت طريق السلام وسقطت فى وسط هذا الدمار . . . إرجع إلى بيتك والله يرحمك ولا تستحى أن تظهر خطيتك فإنه لن يدينك ولن يلحق بك ضرراً ، وستجده فى لقائك فى منتصف الطريق .

إنه طيب القلب يسرجداً بكل الذين يرجعون إلى المعتقد القويم» .

للحال عاد ديونيسيوس أدراجه إلى الدير حيث تقابل مع ساويرس . قال له الآب ساويرس على الفور مقتبلاً : « حسناً إذ قابلت رجلا يخاف الله ، فرد ديونيسيوس ان ذلك كان بتدبير من الله وانه لم يقع فى أيدى اللصوص .

وقال له ساويرس أيضاً امرأة كان بها شيطان قد قتل لها سبعة أزواج ، أخذه هذا الرجل الذى رأيته وربطه بالسلاسل وبقيت المرأة مع رجلها سالمة .

وفتح عينى إنسان أعمى بمرارة سمكة ، فقال له ديونيسيوس أين مسكنه وما إسمه حتى أمضى إليه وآخذ بركته ، قال له ساويرس : « مسكنه فى السماء وإسمه رافائيل - أما الحرب التى رأيتها بين هؤلاء القوم فهم الشياطين الذين يحاربون فى الهواء .

فلما قال هذا الكلام سر جداً لهم علمه الآب ساويرس الاعتراف الصحيح وأزال عنه كل الأفكار والمعتقدات الرديئة .

(٤) رجوع أناستاسيوس الى الايمان المستقيم :

خرج ساويرس ذات مرة وسار فى الطريق للقاء الملك وعلم بذلك أسقف إحدى المدن ويدعى أناستاسيوس ولم يكن

يعرفه ، وكان ساويرس متعباً دابته ، وفى الطريق وجد عين ماء فى وسط الغابة فركن إلى الراحة قليلا .

وكان أناستاسيوس هارباً فى ذلك الطريق من وجه القديس ساويرس ومعه آخرون ، فلما رآهم ساويرس من بعيد قال لخادم الملك الذى كان معه : «إذهب إلى الاسقف وأخبره بأنى أرسلتك إليه» . وحدث أن اقترب أنستاسيوس ومن معه من عين الماء ليشربوا ، وضجر أنستاسيوس وثار وابتدأ يهاجم مقدونيوس ويقول ليكن هذا الإنسان مستوجباً الحريق بالنار لأنه أثار علينا هذا الأســـد من عرينه ليخرجنا من مدينتنا مقفراً إلى ساويرس كأسد . أثارتنا كتاباته لما كان فى ديره وقضت علينا مضاجعنا . . .

قال له الرسول : « عندك أن ساويرس رجل عظيم إلى هذا الحد » قال أنسطاسيوس لم أر وجهه قط بل رأيته فى هذه الليلة فى رؤيا وقد دخل مدينتى وأحرق البيعة وكل كتبها وصنع بيعة جديدة وعمـــل ترتيباً جديداً كن له سلطان ، وكان ساويرس يسمع كلامه هذا .

ويأتى واضع الســـيرة بهـــذا الحوار . فيقول الرسول

لأنسطاسيوس : « ان كان منظره فى المنام قد أعافك فإذا رأيته فى اليقظة كيف يكون حالك ؟» ، ويرد عليه أنسطاسيوس قائلا: « لقـد تركت مدينتى حتى لا أنظره ، وقد علمت أنه خرج من ديره ومعه أمر من الملك بأمضاء قوله أنه قطعـــاً يهلكنا إذا وجدنا لا نوافقه » . وكانت هذه إجابته :

« إن ساويرس لم يهلك أحداً قط بل ان كلامكم وقصصكم وتعاظم قلوبكم يهلك نفوسكم كالعدو المتأهب للقتل فى كل زمان... هكذا كل من يتخلى عن طريق الله ، فليس هذا الموت الذى ينالكم بشىء بل الموت يكون وقت سماعكم قول السيد الملك الحقيق أبعدوا عنى يا ملاعين إلى النار المؤبدة . . . هؤلاء هم الذين جعلوا نصيبهم مع الوثنيين . . . ان كل انسان إنما يقتنى لنفسه برأيه ما يريد أن يقتنيه إن خيراً وإن شراً ، إما موت وإما حياة ، كل واحد منا حسب عزيمته وإرادته . . . أنتم فعلة الظلم وقد أنكرتم وحدانية السيد المسيح ... » .

ثم حدثه ساويرس كثيراً عن تركه الايمان الحقيق وأبان له أن باب التوبة مفتوح له كما قال الرسول ان الله فتح باب المعرفة للأمم ، قال : « الآن يا أنستاسيوس هوذا باب التوبة مفتوح لطالبيه فى كل زمان . . . » .

فاقترب إلى ساويرس وقبله وكتب بيده الأمانة الأرثوذكسية رافضاً مجمع خلقيدونيه ومعترفاً بالإيمان الصحيح وأمانة الثلثمائة والثمانية عشر المجتمعين بنيقيه . . . وكان الآب ساويرس قد قال له أن يكتب فى الأمانة المستقيمة بيده عن الثالوث ويقول فيها اؤمن بالآب والإبن والروح القدس المساوى وفى وحدانية لاهوتية بلا افتراق ولا تبديل لمجدها ونسجد له بوحدانية . الآب هو آب والإبن هو ابن والروح القدس هو روح قدس برباط الوحدانية . . . ففعل ذلك .

أما ساويرس ففرح جداً إذ رد نفساً قد ضلت إلى الحظيرة .

وسأله أنستاسيوس أن يأخذه معه إلى مدينة القسطنطينية ، فقال له الآب ساويرس ما أقدر لأن الملك لم يستدع أحداً غيرى . وعاد أنستاسيوس إلى مدينته يسبح الله كالخادم وزير الحبشه الذى اجتمع بفيلبس التليذ الذى عمده . . . فلم يرجع أنسطاسيوس إلى التجديف بعد هذا بالمرة بل كان يتذكر دائماً كلام ساويرس ويتفهمه وثبت عليه .

(٥) مقاومة مقدونيوس الكافر

فى تلك الأيام ظهر أسقف على مدينة القسطنطينية يسمى مقدونيوس - وهو غير مكدونيوس بطريرك القسطنطينية الذى

إنعقد بسببه مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م ، وكان قد جدف على الروح القدس - وقد طلبت إليه المحكمة أن يأخذ قوانين الملك زينون وأن يكتب بحرم كل الهراطقة المخالفين فيقبلوه أباً لهم - فكتب لهم مقدونيوس كما أرادوا ، فى غش وخداع ، وصار مقبولا لديهم كما كان نسطوريوس الذى أقيم أسقفا وبعدئذ علم تعاليم مخالفة .

واتصل مقدونيوس برهبان الأديرة وكان Kalemekestimos (كاليمكستيموس) رئيساً للدير وكان مقدونيوس بجرأة يعلم تعاليم هرطقة بأن الذى صلب هو المسيح الإنسان وإنه لم يقدر أن يخلص نفسه فانقسم الشعب المؤمن واضطرب لأن التجديف الذى هذا منذ زمان قد أذاعه الآن مقدونيوس ، ويشهد الله والناس عليه إنه مخالف ردىء ...

وإذ كان صيت ساويرس الراهب ذائعاً فى المعرفة والعلم والقداسة ، كتب الملك إلى رؤساء الدير الذى كان يقيم فيه ساويرس وهم رومانوس ويوحنا وقال لهما أرجو أن يعلم الآباء أن نعتقد يقيناً فى قلوبنا ونؤمن بأن يظهر نور الإيمان الحقيق ويشع كالمصباح الذى يضىء من على المنارة فيضىء لكل من فى البيت ، ثم تكلم عن ساويرس الراهب قائلا ان مثل هذا الراهب ينبغى عدم إخماد نشاطه وفورته .

ولما قرأوا خطاب الملك أظهروه لساويرس وكانا صامتين. حينئذ قال لهما: «بما أن هذا الأمر يتعلق بالإيمان ولست أسقفاً ولا يمكنني أن أوقع حرماً أو تأديباً على أعداء الإيمان فأرجو أن يعقد مجمع عام ليظهر هذا الأمر». ثم أضاف إنه راهب فقير أكثر من الكل، غير إني كابن مطيع لأبيه مستعد لأن ينفذ الأوامر، لا بل مستعد لبذل دمه من أجل الإيمان المستقيم.

وبدأ الآباء يتشاورون كيف يرسلونه إلى مدينة الملك حيث الأعداء كثيرون ومعرفة جميع أعوان الهراطقة لأنه وضع مؤلفات عن الإيمان الصحيح ملأنهم خزياً، وكل كتاباته ذاعت في جميع أنحاء سوريا وبالأخص كتابه «الرد على الهراطقة».

عنـــد ذلك قرر الآباء أن يتولى ساويرس الرد، وكتب ساويرس:

«... ساويرس الراهب يكتب بشجاعة إلى السيد الملك التقي المستحق للحياة الأبدية بسبب أعماله التقوية التي يقوم بها، لأنه في أيامك إنبثق التعليم الصحيح وإنك تقطع الأعـــداء المخالفين، هؤلاء الذين انتشروا بواسطتهم الشقـــاء في المملكة، هؤلاء الذين خالفوا تعاليم الثلثمائة والثمانية عشر أسقفاً المجتمعين

بنيقيه ... ثم تحدث طويلا وأشار إلى الذين يرشقونه بالحجارة في كل طريق ويقاومونه.

ثم طلب الى الملك قائلا:

أرجو أن تكتب لي حتى أستطيع أن أفعل شيئا لأنك تعلم أنهم غير مستقيمي القلوب، وعندما تصلني رسالتكم سأعرف منها مدى استجابتكم ...»

وحالما وردت رسالة ساويرس تعجب الملك هو وجميع أكابر المملكة وقرروا جميعاً في اتفاق كامل مايلي:-

«ليحضر ساويرس لأنه هو بالحقيقة الذي يمكنه أن ينقض على مكدونيوس، وإذا كانت هناك أسباب تعوقه فلنذهب نحن إليه».

وكتب الملك إلى ساويرس يدعوه بسرعة الحضور ... ولما قرأ ساويرس الخطاب تشددت عزيمته وتقوى بالروح القدس الساكن فيه وأخذ معه الإنجيل المقدس الذي بمقتضاه يقاوم أعداء الله.

ولما سمع الهراطقة بقدوم ساويرس وبأنه تسلم رسالة من الملك إنطلق الرعاة المخالفين من أماكنهم وهربوا منها ...

ولما حضر ساويرس أضطرب مقدونيوس جداً وتوقع أنه سوف يحاججه ويظهر هرطقته وإنكاره الإيمان الصحيح . لم ينطق مقدونيوس ببنت شفة وكان يخشى صياح الجماهير التى كانت تصرخ وتحيى ساويرس البطل : أما ساويرس فلم ينظر إليه بالمرة لأنه كان حزيناً جداً بسبب إنكاره الإيمان الصحيح .

وجلسوا جميعاً وكانوا صامتين برهة من الزمن ثم نهض مقدونيوس وقال : « ما بالكم قد تجمعتم فى فزع وقلق كأنما خرجتم لمقابلة مجدف أو قاتل ، وبالنسبة لساويرس الذى تظنون فيه أنه يعرف الإيمان الحقيق فقد حان الوقت لكى أواجهه » .

بدأ مقدونيوس هكذا :

« انهم يقولون أيها المصلوب أرحنا بدلا من أن يقولوا يا صانع العجائب والقوات أرحنا ، وأنه بالحقيقة لضعف أن يقال أن الله الكلمة مات » .

فقال ساويرس :

« هكذا قال نسطور ... وان فعل القوات جميعها هو لأجل قلة أمانة اليهود أما تألمه وصلبه وموته فهو لأجل خلاص العالم ، وأيضا قيامته إنما كانت ليقيم الموتى معه ، لأن أفعال جسدنا ولدت لنا الموت فأبطل عنا الموت عند تعليقه على

الصليب . . . وأفتخارنا بالخطية ولد لنا فساد الجحيم والعذاب وقد حل الحمل المقدس على الصليب عنا وثق إبليس وسحقه... » .

وأخذ ساويرس يفسر حقائق الإيمان الأرثوذكسى المستقيم كما تعترف به الكنيستان القبطية والسريانية ...

ثم عاد إلى مخاطبة مقدونيوس هكذا قائلا :

« إنك تقول هذا الكلام بلسانك وبقلبك مصدقا ما على لسانك ؟ » .

قال مقدونيوس :

« ان القوانين التى أسسها الأساقفة الآباء الذين كانوا فى خلقيدونيه هى التى أقبلها » .

« إن كنت تقبل قوانين أولئك وتحفظها فمن الآن لست غريباً عن نسطور فى شىء جملة لأن ذلك فرق اللاهوت من الناسوت . . . » .

فاجاب مقدونيوس بوقاحة :

« وما هو خطأ نسطور حتى نفى مفروزاً وحرم . . . » قال ساويرس :

« بالحقيقة ان دقلديانوس لم يتعب البيعة مثل نسطور وبجمع خلقيدون . . . » .

ورد مقدونيوس قائلا :

« لو اجتمع العالم علىّ لما أستطاع أن يميل قلبي إلى التجديف على بجمع الاساقفة الذين اجتمعوا هناك » . ويقصد المجمع الخلقيدوني ...

وهكذا فى القسطنطينية انطلق القديس (٥٠٨ - ٥١١ م) لمقاومة أصحاب البدع والهرطقات وبالأخص بدعة مقدونيوس وكان من الضرورى أن يتخذ إجراء مضاداً قوياً فعالا حتى يصد تيار الهرطقات ، وانطلق القديس مع مائتى فلسطينى ناسك يقود حملة المجادلة وإفحام المخالفين . وفى القسطنطينية انحل عقد الهراطقة بسبب قوة حجة القديس ساويرس الرادعة ، وانعقد بجمع الاساقفة فى حضور القديس ساويرس وقرروا قطع مقدونيوس ونفيه وكان ذلك سنة ٥١١ م .

وفرح الشعب الصحيح الإيمان وكان يصيح : « نعم حضورك ... يا ساويرس يا نور المسكونة ... الملح الذى لا يفسد .... » .

وقد وجدنا تفصيلات كثيرة جداً بالمراجع التى أطلعنا عليها حول هرطقة مقدونيوس والمناقشات التى دارت وانتهت بقطعه وإبعاده - ولا نرى هنا محلا للخوض فيها .

الفصل السابع

رسامته بطريركا وجهاده

بعد أن جاهد الآب ساويرس الجهاد الحسن من أجل المسائل التى ذهب بشأنها إلى القسطنطينية عاد إلى إنفراده بينما كان أصدقاؤه يرجون أن يبقى فى القسطنطينية لكنه ودعهم ومضى . واجتمع الاساقفة الشرقيون بسرعة فى صيدون فى فينيقية لأن الإمبراطور تعجلهم - ولما اجتمعوا لخصوا أعمال فلافيان بطريرك انطاكية فوجدوه من أنصار ماسيدونيوس وأمثاله ، ولما لم يرد أن يترك هذه الهرطقة أقالوه حسب القوانين الكنسية وكان هذا نصراً عظيماً للأرثوذكسية . وبعد هذا الاجتماع الذى اتخذه الاساقفة كانوا يبحثون عمن يوضع على رأس كنيسة انطاكية - فأقر الجميع ، أساقفة ورهبان وعلمانيون بصوت واحد : « أن ساويرس هو الذى يجلس على الكرسى ، أن الروح القدس يطلب ساويرس كما طلب قديماً بولس وبرنابا للتبشير بالإنجيل » .

ورأوا فى ذلك ظاهرة متميزة هى إجماع الكل على إقامته لأنه الوحيد الذى يستطيع أن يطهر الشرق من برص الهرطقات التى تملكت منذ زمن طويل .

ووافق الإمبراطور على هذا الاختيار الذى تم بنعمة الله فأوفدوا إلى ساويرس أناساً معروفين بتقواهم . ولما اقتربوا من دير القديس ساويرس صاحوا قائلين : « أيها الرب الإله القدوس راعى الرعاة الأعظم أهد طريقنا اليوم ، وإذا كنت تريد أن يصير هذا القديس راعياً فأرسله لنا على الباب لكى يرد علينا » . وكان من عادة ساويرس ألا يقابل أحداً ما خلا من يسأل كلمة منفعة لنفسه أو يستفسر عن غوامض ما فى الكتب المقدسة . فلما وصلوا طرقوا الباب وصادف أن كان بعض الإخوة الذين قد حضروا للاستشارة خارجين من عنده فى هذا الوقت . ولذلك فإنه حينما قرعوا الباب لم يكن من يرد عليهم ، فظلوا يقرعون . تعجب القديس ونزل إليهم وفتح الباب واستقبل الوفد الذى قال له على الفور : « مبارك الرب الذى قاد طريقنا اليوم واستجاب لصلاتنا » . ولما سألهم القديس عن سبب حضورهم ردوا عليه : « ان الإمبراطور التقى أعطى أمراً بأن تحضر إلى المجمع » وسلموه الأمر الإمبراطورى واستقبل الوفود وأراحهم ، وفى اليوم التالى توجه معهم وإذ علم أنهم اختاروه فكر فى الهروب وكان يقول : « إنى لا أصلح لهذه الوظيفة العظيمة وكيف أستطيع أنا الصغير غير المستعد أن

أجلس على كرسى أغناطيوس الكبير ؟ خذوا آخر أكبر منى » لكن هذه الاعتذارات لم تزد الأساقفة والرهبان إلا إصراراً .

وكتب بعض أصدقاء الآب ساويرس الذين كانوا قد درسوا معه يذكرونه بالنبوة التى تنبأ بها بخصوصه التقى الشهير ميناس وأوصوه ألا يهرب من اختيار الله .

وان عدم سماع نداء الله لايخلو من خطر حتى ولو كان الرفض على سبيل الاتضاع . واستمع إليهم ساويرس إذ علم أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً تجاه إصرار الأساقفة والرهبان والعلمانيين وقام معهم إلى أنطاكية .

فلما علم سكان المدينة بذلك خرج الجميع الشباب والشيوخ، السيدات والأطفال لملاقاته بفرح عظيم ، ولما دخلوا المدينة أرتجت من الفرح لأنهم كانوا يريدون أن يروه وتمنوا لو كانت شوارع المدينة ملأى بالأشجار ليصعدوا عليها مثل زكا حتى ينظروه مجتازاً وكانوا يرتلون تراتيل الفرح والابتهاج ، وكانوا يصيحون ويقولون: « مبارك هو ساويرس الذى أرسله الرب إلينا، مبارك هو من العلا ... » .

ولدى وصوله ألقى عظة مليئة بالمعرفة اللاهوتية الدقيقة وكشف بها ما كان ينادى به نسطور من تعاليم غريبة ، وتعاليم

افتيخوس الخيالية ـ وقد قسرارات بجمع خلقيدونية وطومس لاون موصياً بالابتعاد عن العثرات الشريرة وأتباع الطريق الملكى والاعتراف بالإيمان الصحيح ، وأن يصلح كل أحد طريقه .

وقيل فى ذلك أيضاً أن الأســـاقفة لما حضروا ابتدأوا يتناقشون فى تفسير بعض الآيات وقالوا له ما معنى قول الرسول الجليل ، لست أطلب خيراً لى وحدى بل والجماعة الذين أبشرهم، قال ساويرس هو أن يدع الإنسان كل ما يخصه ويرفضه ويحرص على خلاص نفسه وخلاص قريبه،فأشار إليه الأساقفة القديسون بالكتاب الذى فيه اتفاقهم على تقدمته رئيساً ، فلما وقف عليه تغير وجهه لأنه لم يكن يشتهى شيئاً من هذا وكان يحب الانفراد وكان يحدث نفسه دائماً عن مزايا السكون ، وكان يقول فى ذاته كل وقت إن الكسل يهلك الأنفس،وأن الإنسان لا يصيب رحمة إلا بالانفراد كما هو مكتوب ، كفوا واعلموا إنى أنا الله ، مزمور ٤٦ : ١٠ .

قال لهم لست مستحقاً لهذا ولا أصـــلح للجلوس على هذا الكرسى ولكنهم جميعاصرخوا ساويرس هو راعينا ، هو مقاوم الهراطقة . وقال له الأساقفة والعظماء الحاضرين ليست وصية أفضل من هذه هى أن يضع الإنسان نفسه فداء عن أخيه ... ،

وقالوا له : وان الله يدينـــك عن هذا الامر إن أنت جعلت النفوس التى اشتراها المسيح بدمه تهلك ، ولم يكن هناك مفر من قبوله الرسامة والتسليم لمشيئة الله .

كان القديس ساويرس قد تقبل الكهنوت على يد ابيفانيوس اسقف مفيدوس فى بمفيلية ...

وقد تمت رسامته سنة ٥١٢ م بطريركا لانطاكية على أيدى أساقفة طرسوس ومنبج وعشرة أساقفة محليين من إبيارشيات الفرات وسوريا [1] .

وحدث عجب عظيم عند رسامته إذ كانت رائحـــة الطيب تفوح فى كل مكان فأيقنوا أن الملائكة شاركت أيضاً بابتهاج حفل تكريسه .

---

(١) شملت كنيسة انطاكية الايبارشيات الآتية :

(١)	إيبارشية فلسطين	مركزها قيصرية
(٢)	« فينيقية	« صور
(٣)	« العربية	« بصرى
(٤)	« سوريا	« انطاكية
(٥)	« ما بين النهرين	« الرها
(٦)	« كيليكية	« طرسوس
(٧)	« اسورية	« سلفاكية

جلوسه على الكرسى البطريركى

بعد جلوسه على الكرسى البطريركى مباشرة صرف الطباخين ومساعديهم الذين كانوا يعملون فى قصـــر الاسقفية ويعدون مختلف ألوان الاطعمة ،واستمر فى الحياة الخشنة التى كان يحياها كراهب فكان ينام على الارض زاهداً ، ويقيم قداسات طويلة بألحانها . كان يأكل الخضر مع خـــبز عادى الذى كان يصنعه الخبـازون للفقراء ، ولم يتوقف عن أن يسقى شعب انطاكية كما تسقى النافورة الأرض العطشى. هذا الشعب الانطاكى الذى كان جائعاً ليس للخبز وكان عطشاً وليس للماء ، لكنه كان جائعاً... وبفضل تعاليم القديس ساويرس أصبح الجيـــاع معلمين فى اللاهوتيات ...

تاليف التراتيل المقدسة

ان سكان انطاكية كانوا يحبون التراتيل . وكان البعض يحب الأنغام التى يستمعون إليها على المسارح ، والبعض الآخر يجيد تراتيل شعراء الكنيسة، ورأى أن ينزل إلى مستوى الشعب فى هذه الناحيـة ، ومثل أب يتكلم مع أطفاله الصغار بطريقتهم الخاصة ، كان يعلم المرتلين ويؤلف الألحان لهم ،وفى هذا المضمار كان يمتثل لأوامر الله تعالى. فحينما رأى الله أبناء اسرائيل متعلقين

بذبائح الثيران والماعز والقحوم المقدمة للأوثان واهراق الدماء وهى أمـور تعودوا عليهـا فى مصر وكان من الصعب عليهم أن يطلوها ، لم يحولهم عنهـا فوراً لكنه أمرهم أن يقدموا له هذه الذبائح وأبقى لذاته أن يخلصهم منها فى الوقت المناسب .

ألف القديس ساويرس تراتيل مليئة بنغمات الحزن حتى تجلب الدموع المقبولة لدى الله لسـامعيها وهكذا انتزع الكثيرين من عثرات المسرح بهذه الطريقة لكى يجعلهم يترددون بمواظبة على الكنيسة . وبعض التراتيل يتصل باللاهوت ونظريات العقيدة ، والبعض الآخر يكشف عن أعماق الكتب الإلهيـة ، والبعض يتصل بما ورد فى المؤلفـــات . وكثير منها خاص بالضيقـات والبلايا التى تصيب الشعب كله ...

وهكذا فى كل المجالات كان القديس ساويرس يعمل جاهداً لرد الشعب عن كل طريق شرير .

الحث على التوبة

ذكر فى سيرة القديس أنه حدث يوما أن أصابت الشياطين بعض الناس ... فكان منهم من يبتلع أشياء ضـارة مثل قطع الزجاج وقطع الحديد ، ولما كان النـاس يتقيأونهـا فيما بعد ،

كانت تخرج تحت أشكال قطع لحـــم مشتعلة ، فطلب القديس ساويرس إلى الله متضرعاً ومصلياً أن يطرد هؤلاء الشياطين من خليقته وكان يصـــلى قائلا : « أيها الرب الإله ضابط الكل **لاننا نسير فى طرق جديدة للخطية نعاقب بانواع جديدة من التاديبات ، فارفع عنا العقوبات التى تؤدب بها عادة فى غضبك »** ، ثم أن الله كثير الرحمة استمع إلى صـــلاة القديس وخرجت الشياطين وهى تصرخ كما لو كان الله يتعقبها ، وكانت الميادين فى ذلك الوقت تشبه الكنائس فكان كل الناس يرتلون المدائح المقدسة بدل الأغانى العابثة ...

كان يحث الشعب على أن يلطف الغضب بالصلوات والتوبة مثل أهل نينوى .

وفى إحدى عظاته قال لهم : « لنسرع ونعلن توبتنا التامة فإن فعلنا ذلك فلسنا نهرب من الغضب فقط لكن سوف نقبل أجراً ، **لان كل ما يعمل بالرضى الكامل لله اجر** قبل أن تأتى الساعة لجأة ، لنحيا فى محبة العمل وفى القداسة ، وإذا كنا فعلا لا نتغير أثر التأديب وتحت تأثير الخوف فإننا نكون محرومين من الله أو نصبح غرباء عنه نسلم للخراب الشامل ونسقط فى هوة عميقة .

اهتمام القديس بالرعاية

ما ان ولى كرسى انطاكية حتى قاد الرعية بكل حكمة روحية ، وثبت قوانين الكنيسة فى كل الكنائس والاديرة بما أوتى من حكمة جزيلة ، كربان ماهر أوصل سفينة الكنيسة إلى ميناء الأرثوذكسية ...

وكان يجول يصنع خيراً مثل ما كان يفعل السيد المسيح ، يشفى المرضى ويخرج الشياطين وكانت جموع كثيرة تأتى إليه للانتفاع بتعاليمه .

ومن جهة أخرى كتب إلى الرهبان بعد أن علم أنهم كانوا مضطهدين : « **انتم اعمدة وسند مدينة الرب ، فاذا كنتم انتم الأعمدة قد اهتززتم ورفعتم من مكانكم فماذا يكون بعد ذلك علينا ان نتوقع ، الا ان يكون هناك عقاب الله والأهوال العظيمة التى لا يمكن أن نتفاداها** » .

ووصف بدقة الآلام التى احتملها وأحكام الله وتدابيره المخفية عن عيوننا ليعزى الكل ويقوى إيمانهم .

أوصى الرعاة بالعناية بالرعية وألا يسلموا الخراف للذئاب وألا يكونوا من الرعاة المحتالين الذين لا يشفقون على رعيتهم ، ولم يعملوا على تقوية المريض ، لم يربطوا المجروح ولم يطلبوا الضائع ...

أخذ أيضاً يوجه رسائل كثيرة إلى الاكليروس وكل الشعب بضرورة التمسك بتعاليم مجامع نيقية وأفسس والقسطنطينية التى حرمت أريوس ونسطور ومكدونيوس . . . كذا رفض المجمع الخلقيدونى ورسالة لاون .

فى سنة ٥١٣ م دعا إلى مجمع فى انطاكية وفيه شجب المجمع الخلقيدونى ورسالة لاون ...

وفى سنة ٥١٤ م دعا إلى مجمع فى صور واشترك فى هذا المجمع عدد من الأساقفة ، وكان لنداء القديس صدى قوى - وقد أيد هذا المجمع موقف ساويرس بشأن الأمانة المستقيمة .

تبادل الرسائل بينه وبين البطريرك يوحنا الثانى

كانت الرسائل متبادلة بينه وبين البطريرك الاسكندرى الأنبا يوحنا الثانى(٥٠٧ - ٥١٧ م) أول بطاركة القرن السادس، وكان البطريرك ساويرس راسخاً على مبدئه...أرسل إلى البطريرك أنبا يوحنا رسالة بشأن الوحدة فى الأمانة وبشره فيها بالاتفاق بينهما فى الأمانة الواحـــدة الأرثوذكسية ومقاومة بدعة خلقيدونية ، فقبلها البابا يوحنا شاكراً هو وأساقفته وقرأوها فى أنحاء الكرازة المرقسية وأقاموا صلوات شكر للسيد المسيح . وتبادل معه البطريرك الاسكندرى الرسائل بشأن الأمانة المستقيمة

ففرح بها الآب ساويرس فرحاً عظيماً .

رسالة البابا ديسقورس الثانى

ولما جلس البابا ديسقورس الثانى على الكرسى المرقسى كتب هو أيضاً رسالة إلى الآب ساويرس يذكر له فيها نياحة البابا المغبوط أنبا يوحنا وجلوسه بعده على الكرسى الرسولى فكتب إليه يعزيه ويعلمه أنه مشترك معه فى الأمانة المستقيمة التى ينبغى المداومة على التعليم بها والذود عن حياضها .

† † †

الفصل الثامن

اضطهاد الامبراطور يوستينوس (٥١٨ - ٥٢٧ م)

وهكذا استمر القديس ساويرس مجاهداً فى كافة الميادين الروحية بعد أن مكث فى الكرسى الانطاكى زهاء سبع سنوات.

توفى انسطاسيوس الإمبراطور التقى سنة ٥١٨ م وتولى بعده يوستينوس (٥١٨ - ٥٢٧ م) أحد قادة الحرس الإمبراطورى ، وما أن ملك حتى بدأ سلسلة من الاضطهادات وأصدر أمراً بالاعتراف بالمجمع الخلقيدونى، وخير الامبراطور الاساقفة الانطاكيين بين القول بالطبيعتين وبين الطرد فأقصى ٣٢ منهم عن كراسيهم منهم فيلكسينوس السريانى أسقف منبج مؤلف كتاب « الحاذقون فى العبادة » وبولس الرهاوى . . . ونزل بالاساقفة المقاومين له العذاب الاليم. وكان هؤلاء كثيرون فى أرمينية وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر .

كما اتخذ اجراءات قاسية لإكراه الرهبان على القول بالطبيعتين فطردوا من أديرتهم .

مجىء القديس ساويرس إلى مصر المرة الأولى سنة ٥١٨ م.

شدد الإمبراطور الاضطهاد على القديس ساويرس باعتباره

الرأس وناله ضيق شديد كان من أثره أن جاء إلى مصر بعد أن قضى بالكرسى الانطاكى سبع سنوات كما أشرنا ، ورغب فى المجىء لمصر حيث اختبأ السيد المسيح من أمام هيرودس الملك فقضى سراً ووصل إلى مصر لكنه فى أثناء هروبه لم يهمل الاتصال برعيته وافتقادها برسائله ومقالاته .

ترك القديس مركزه وقام إلى سلفكية الساحل وأقلع منها إلى الديار المصرية واستمر بمصر مدة طويلة زهاء عشرين سنة (٥١٨ - ٥٣٨ م) وفى خلال هذه المدة رجع إلى القسطنطينية فى الفترة من ٥٢٤ - ٥٣٦ م ، ثم عاد إلى مصر ثانية .

وفى أيام حكم يوستينوس (٥١٨ - ٥٢٧ م) حدثت أهوال خطيرة ووقعت حوادث تستحق الذكر وكلها بعد أن ترك البطريرك ساويرس كرسيه سنة ٥١٨ .

بلغت ضراوة الاضطهاد ذروتها ، وكان أشد أنواع الاضطهادات يوقعها على الاساقفة المقاومين للمجمع الخلقيدونى. أنزل العقاب الاليم على الاساقفة وبلغ أمر التعذيب حداً لايصدقه العقل منها ما حدث مع القديس فيلكسينوس فإنه نفى إلى مغنرة وحبس فى بيت أوقد فيه وسدت منافذه فمات خنقاً .

ولازم عصر يوستينوس حوادث مروعة فقد اشتدت الكوارث الطبيعية فزلزلت الأرض فى عين زربه ، وطفت المياه فى الرها فغمرتها ، وحلت صاعقة فى بعلبك فأحرقت هيكلها ، وعم الجفاف فلسطين بأسرها وطال أمده فحل الجوع فيها - وفى سنة ٥٢٦ م دمرت زلزلة كبرى انطاكية فخربتها تخريباً شاملا ودمرت بيوتها وأبنيتها العمومية وكنائسها وقضت على ٥٠٠٠٠ من السكان ومن بينهم الأسقف افراسيوس (٥٢١ - ٥٢٦ م) الذى مات تحت الانقاض .

† † †

الفصل التاسع

اضطهاد يوستنيانوس الأول (٥٢٧ - ٥٦٥ م)

بعد موت يوستينوس سنة ٥٢٧ م خلفه يوستينوس الأول (٥٢٧ - ٥٦٥ م) وكان من المتعصبين أيضاً لمجمع خلقيدونية وحذا حذو سابقه فى التنكيل بمن لم يقبلوا قرارات مجمع خلقيدونية. وقد ظل القديس ساويرس أثناء حكم هذا الامبراطور أيضاً بمصر فيما عدا مدة قصيرة سافر فيها للقسطنطينية (٥٣٤ - ٥٣٦ م) لحضور المجمع الذى انعقد هناك ، لكنه لم يغفل أمر الاهتمام بالكنيسة فكان يديرها بنوابه ورسائله ويرسل الكتب أثر الكتب نقضاً للبدع ودحضاً للضالين بهمة لا تعرف الملل . ولم تحل الضيقات والشدائد التى كانت تحيط به من كل جانب دون مباشرة شؤون الرعاية العامة منها والخاصة واهتمامه بخلاص النفوس .

ومن أمثلة ذلك أنه كان يكتب رسائله إلى القديسة أناستاسية ويرد على الرسائل التى تصل إليه منها كما يتبين ذلك من المخطوطات السريانية فى لندن والمخطوطات اليونانية وقد نشرت مجلة

La Revue Oriens Christianus, Neue Serie 3, 1913 - p. p. 32 - 58 .

غير أنه رغم إلتجاء القديس ساويرس إلى مصر فإنهم كانوا يتعقبونه للإيقاع به كما ورد فى تاريخ افراميوس الذى قام فى سنة ٥٣١ م بتنفيذ إرادة الإمبراطور وظل يجوب البلاد للتنكيل بالمقاومين حتى ذكرت بعض المراجع أن افراميوس أمر بحرق من أصر على مقاومته للجمع الخلقيدونى .

كان يوستنيانوس (٥٢٧ - ٥٦٥م) يعتبر نفسه رئيساً للدولة والكنيسة فى آن واحد وتدخل فى شؤون الكنيسة تدخلا لم يسبقه فيه أحد ... واتخذ لنفسه حق التفسير والتطبيق دون أن يستند فى ذلك إلى أية سلطة كنسية ، ونفذ يوستنيانوس قوانينه بشدة وصرامه فكان يقطع الاساقفة ويعين غيرهم ويدعو المجامع ويوافق على قراراتها أو يعدلها أو يلغيها - غير أن الامبراطورة ثيؤدوره (٥٢٧-٥٤٨ م) كان لها أثر فى تخفيف غلوائه وثورته فى الإضطهاد فقد كانت تتميز بالشجاعة وصفاء الذهن وكانت تهتم بالقضايا العامة لاسيما الدينية منها كما كانت تؤمن بوحدة طبيعة السيد المسيح وتدافع عن هذه العقيدة ضد زوجها ، وقد كان لها أثر يذكر فى إفلات القديس ساويرس من تعقب الامبراطور له كما سيأتى ذكره .

الفصل العاشر

انطلاق القديس الى القسطنطينية واهتمامه بالرعاية

ظل القديس ساويرس بمصر مدة طويلة وفى سنة ٥٣٤ م على الأرجح مضى إلى القسطنطينية وظل بها حتى سنة ٥٣٦ م .

وأمر القيصر فى سلسلة إضطهاداته أن يعقد بجمع بالقسطنطينية لإجبار الأرثوذكسيين على اعتناق مذهب الخلقيدونيين ودعا إليه جميع رؤساء الكنائس فحضر منهم كليسوس أسقف رومية وأبوليناريوس الذى صيره القيصر بطريركا ملكيا على الاسكندرية فيما بعد وأوطيخوس بطريرك القسطنطينية والاساقفة الذين تحت أيديهم .

وكان أول من حتم عليهم القيصر بحضور المجمع البابا تيموثاوس بطريرك الاسكندرية [1] وساويرس بطريرك انطاكية .

---

(١) لمتعة القراء نورد هنا النص الكامل لسيرة البطريرك أبا تيموثاوس (٣٢) من ٥١٧ — ٥٣٥ م من كتاب تاريخ البطاركة ترجمة E. Evetts ص ٤٥١ إلى ص ٤٥٥ .

= جلس تيموثاوس بطريركا على كرسى الاسكندرية وتوفى

أما البطريرك الاسكندرى فلما كان يعلم غرضه السيء أبى

= انطاسيوس الملك المؤمن وأقاموا بعده رجلا روميا مخالفا اسمه يوستنيانوس ليدبر المملكة . فلما جلس بذل جهده فى أن يعيد كل المؤمنين الأرثوذكسيين إلى أمانة المجمع الخلقيدونى ، وأول ما ابتدأ أن أخذ القديس ساويرس البطريرك وجمع مجمعاً فى مدينة القسطنطينية من نفسه وكان قبه وكليوس بطريرك رومية وأبوليناريوس الذى صيره الملك بطريركا على مدينة الاسكندرية وأوطيخوس بطرك مدينة القسطنطينية والأساقفة الذين تحت أيديهم وأرسل ليحضر الآب ساويرس البطريرك وأساقفة الشرق وكان يظن أنه يطيب قلب القديس ساويرس ويسميله إلى رأيه لكى ينقاد له الكل ليقينهم به وبأمانته فيقولوا بمقالته الردية فلم يلتفت الكبير ساويرس إليه ومضى هو وأساقفته إلى القسطنطينية ليثبت الأمانة وكان يظن أن ذلك الملك الكافر يرجع عن رأيه الفاسد ، فلما وصل الآب ساويرس إلى القسطنطينية أكرمه الملك فى البداية اكراما عظيما ورفع مقرلته وكلمه كلاما طيباً طلبا منه أن يساعده على طومس لاون ويبطل أمانته ، أما هو المجاهد فى الله فكان قد جعل فى قلبه قول بطرس الرسول لسيمون الساحر ان كراماتك معك تكن فى الهلاك لأنى أرى الملك مملوءاً مرارة أمر من الفتين ، وكان يوستنيانوس الملك مثل لسطور فلما كان فى بعض الأيام أمر الملك أن يجتمع الغير أساقفة إلى ذلك المجمع فلم يحضر معهم الآب ساويرس الشجاع ولا أحد من أساقفته لأنه قال أن لم يحرموا أولا طومس لاون والمجمع الخلقيدونى المرذول وإلا فا اجتمع معهم فى قول الكفر ثم جرى من الملك أموراً يضيق الكتاب عن شرحها لكلا تطول السيرة بذكرها، فلما بلغ ساويرس البطريرك أمر الملك فلم يجتمع معهم ولا مضى إليهم انزلوا عليه البلايا وحلت به الشدائد ، ومن بعد سنتين بسؤال الملكة =

قبول هذه الدعوة واستمر فى مركزه يدير شئون رعيتـــه وقد

= تاوضسوره المؤمنة افرج عنه فسيرته إلى كرسيه ، وكان فى تلك الأيام نيموثاوس بالاسكندرية ، فلما أخرج ساويرس البطريرك من انطاكية وأساقفته الذين من الشرق ووصلوا إلى مصر جاء الأساقفة (المهاجرة) إلى مدينة الاسكندرية فطردوا رهبانات كثيرات عظارى من الديارات وكان الآب ساويرس فى زمان هذا التعب يهرب من مدينة إلى مدينة سراً وعلانية ومن دير إلى دير وبكاتب الأساقفة أصحابه الذين بالاسكندرية ويعزيهم ويوصيهم أن يثبتوا على العقائد بشجاعة وكان معهم غير أسقف اسمه يوليانوس وأظهر أنه لا يشارك مجمع خلقيدونية لأنه يقسم السيد المسيح الواحد الذين وجعله طبيعتين بعد الاتحاد غير المدرك . فلما وجد هذا زمانا يغيبه الآب ساويرس كتب طوميا بمؤامرة سوء لقوم ... مرضى فيه أمانة أوطيخوس الكافر وأبوليناريوس ومانى وأوذكيوس الكفرة وملاه أيضا تجديفا من أعتقاد الذين يعتقدون التخيل وينكرون آلام المسيح المحيية وأرسله إلى أعمال مصر وإلى رهبان البرية فقبلوه ووقعوا فى الفخ الا سبعة رجال أضاء الله قلوبهم فلم يقبلوه وسموا صوتا يقول هذا الطومس نجس فقام عليهم الفين وقعوا فى ضلالة يوليانوس وقتلوا منهم اثنين فتفرق الباقى وصاروا يقدسون فى قلالييهم بدير إبى مقار وغيره ،وهذا السبب فى تفريقهم وكثرة الضلالة فى الأربعة ديارات وفى الحواسق فبقوة الروح القدس ونعمته كانت المؤمنة للخمسة رجال الرهبان الباقين من السبعة فتعوا الرهبان ان لا يقبلوا الطومس وكان يذبوع هذه الضلالة يوليانوس لا يفتر من إرسال كتبه إلى البلاد ليضل الناس ويجذبهم إليه ، فلما علم الآب ساويرس ذلك بقوة الروح القدس الساكنة فيه كتب إلى كل موضع ليسد أمره ويبدد فكره واعلم الناس من كتبه ان يوليانوس .. ردى. =

تعرض لشدائد عظيمة بسبب ذلك .

أما الآب البطريرك ساويرس فإنه قبل دعوة القيصر وأخذ معه بعض علماء الأساقفة . وقد روى الآب أثناسيوس[1] الحوار الذى جرى بين البطريرك ساويرس وبين القيصر نلخصه فيما يلى :

« أن الآب ساويرس انطلق سراً إلى عسقلان بفلسطين وكنا معه ومضينا إلى دير قد بناه القديس بطرس [2] وبعد هذا ظهر

= ممتلئا تجديفا ، وكان القديس ساويرس مهتما بهذه الضربة ليداويه وتثبيته لمن لم يقبح الطومس ، وكان من ذلك قلق ومقاومة — وعند ذلك تنيح الآب تيموثاوس البطريرك المعبوط وهو ثابت فى الأمانة المستقيمة وكان مجاهداً عنها مثل الآب ساويرس ، ودحض يوليانوس وجميع مقالاته وكانت مدة مقامه بطركا على كرسى الاسكندرية ١٧ سنة وتوفى فى الثالث عشر من أمشير » . إتحى فى ص ٤٥١ — ٤٥٥ .

(١) عن النسخة الحبشية الانجليزية .

(٢) ورد فى مخطوطة دير السريان ٢٩٩ والنسخة الحبشية ذكر الأخوية التى حدثت للقديس ابنا بطرس الذى كان مستحقاً ان يعاين اسرار عجيبة وهى انه فى نهاية تقديس الأسرار المقدسة غطت سحابة كثيفة الهيكل ورأى فى الصينية طفلا ينتظر بهى على الذبح وذراعاه ممدودان فوق الذبح ، وكان هناك صوت من السماء هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ، ولما كان يقدس الأسرار ووصل إلى ساعة تقديس الخبز وتقسيمه خرج منه دم وابتل الذبح بذلك الدم . ولما بارك الكأس انقسمت يده فى الدم وهذا حدث فى كنيسة العذراء والدة الإله .

ملاك الرب لساويرس وقال له قم وامض إلى مدينة القسطنطينية واعترف بالإيمان المستقيم فقد انتشرت الهرطقات .

وانطلق مع الإخوة إلى القسطنطينية وبمعونة الرب وصلنا إلى البحر فوجدنا سفينة قاصدة القسطنطينية وسافرنا بها ، ولما دخلنا إلى المدينة ذهبنا إلى حيث تقيم فيرونيا التى كانت من قصر الملكى .

وبعد يومين وكان الملك مزمعاً أن يقسو على من يقف ضد قوانين نسطور وليو ، ظهر الآب ساويرس للملك وقابله بلا خوف . ولما رأى ثباته ومحبته للسيد تعجب كثيراً وقال له : «هل أنت ساويرس الذى تحتقر كنائس الله» فقال له : «لا لست أنا لكنك أنت الذى تركت الايمان الحقيقى» ، وأردف قائلا ، أين ايمان قسطنطين الملك ، وعقيدة الملك زينون وأناستاسيوس الملك ، أما أنت فقد تركت ايمان أولئك وقبلت هرطقة نسطوريوس وليو وبمجمع خلقيدونيه الذى سبب اضطراباً للعالم .

قال الملك : «إنها عادة ديسقورس والكسندروس الذين قاما الملك المؤمن مركيان» ، قال ساويرس : «ليس مركيان مؤمناً وان دقلديانوس لم يقلق البيعة مثله» . قال الملك «دع

عنك هذا التعاظم ووافق الجمع العظيم لتخلص ولا تكن متعلقاً بطقس ديسقورس لئلا تموت منفياً مثله ، قال ساويرس : «أترى ديسقورس فعل رديئاً إذ لم يدخل فى زمرة المنافقين ، قال له الملك : « أتعنى بهذا أن مجمع الاساقفة قوم أشرار » . قال ساويرس : « إن الله أمر أن لا تجلب لنا شروراً كثيرة إذ يقول يكفى اليوم شره ، فأى شر أعظم من هذا وأى شر أكثر من جماعة خلقيدون . . . » قال له الملك : « حسبك جسارة فلا أستطيع أن أصبر عليك وأنت تفترى على الآباء الذين وضعوا الامانة المستقيمة » . قال له ساويرس « أى أمانة ، إن الامانة الحقيقية هى أمانة نيقيه وأفسس . . . هم أصحاب الإيمان المستقيم» أجاب الملك : « لا بل إيمان مجمع خلقيدونية » ثم أردف قائلا: « والآن ياساويرس أترك هرطقتك واتبع مجمع خلقيدنيه » . قال ساويرس : « قد كان جماعة العالم الماضى أيام نوح كثيرة جداً ولم يكن باراً إلا نوح وحده وغرقوا ، أما نوح فقد نجاه الله من غضبه وأنقذه من الطوفان هو وبنيه ونساءه وقطع معه عهداً إذ قال له إنى لا أعود أهلك العالم بالطوفان» تك ٩ : ١١ . إلى أن قال: « ديسقورس وحده بقى فى الأمانة المستقيمة وذكره إلى اليوم . . . إنه بقى ثابتاً فى الإيمان الذى سلمه طاهراً لأولاده».

أجاب الملك وقال له : « لقد أخبرونا عنك قبل مجيئك عن روح النقاش والمجادلة ، فدع عنك هذا واتبع نصيحتنا » أجاب ساويرس وقال : « إن الكتاب المقدس يعلمنا أن نطيع الحكام (تيطس ٣ : ١ وعبرانيين ١٢ : ١٧) وانا نصلى لأجل الملوك الذين يحبون الله لكى يقضوا أياما هادئة وسالمة ، ذلك إذا لم يكونوا من أصحاب الهرطقات . . . والآن إعلم أن قساوة قلب فرعون لم تدع مملكته تثبت ولم ترفع شأنه وأهلكه الله وكل الذين معه فى قاع البحر » .

أجاب الملك وقال له : « لماذا تحتقر حكمة الآباء شيوخ مجمع خلقيدونيه الذين قد أبيضت شعور رؤوسهم وتقدموا فى الأيام » أجاب ساويرس وقال : « الحكمة لا تسكن دائما فى كل الشيوخ ولا الفهم فى كل الشباب ، أنظر إلى آحاب المنافق كيف كان متقدما فى الأيام ولم يفده سنه شيئا،دانيال الشاب كان يسلك بحسب وصايا الله وفى خوفه . . . وقديما تكلم الرب فى الأنبياء والآباء وعال الشعب الإسرائيلى ٤٠ سنة وصنع معه المعجزات والعجائب لكن الشعب ظل قاسى الرقبة ومكث فى عناده ، عبدوا الأوثان وتركوا الرب صانع المعجزات الذى ظهر لهم فى البحر وفى البر ، وأراهم عمود النار يضىء لهم بالليل وعمود الغمام

يظللهم بالنهار ، وأعطاهم الماء من صخرة صماء ليشربوا ، كما أنزل لهم المن من السماء . وآيات أخـــرى كثيرة لا نستطيع التحدث عنها ولا يستطيع أحد أن يحصيها ، وكانت رغبة السيد أن الكل يعرفوه .

أرسل إبنه من السماء ، وأخذ جسداً حقيقيا مثلنا له لحم وعظام ودم واحتمل الموت ... أرأيت كيف صنع السيد معنا رحمة واحتمل الموت لأجلنا وكسر شوكة إبليس وفتح الفردوس وأعطانا شجرة الحياة وأصلح السمائيين مع الأرضيين ، الكلمة بالحقيقة صار جسداً وسكن بيننا يو ١ : ١٤ ، وإذا كان الكلمة صار جسداً فهو إذن قد تألم بالجسد . . .

ولا تطع أيها الملك القائلين بالطبيعتين ولا تذعن لقرارات المجمع الخلقيدونى » .

ولما سمع الملك والضباط هذا الحوار من الآب ساويرس تعجبوا لحكمته وثباته فى الايمان وتحير كيف يعامل ساويرس لأنه عرف صلابة إيمانه .

استمر القديس ساويرس فى القسطنطينية سنة يعد للجهاد بعد نياحة البطريرك القديس تيموثاوس سنة ٥٣٥ م . وعندما

التأم مجمع القسطنطينية سنة ٥٣٦ م جرت مناقشات عنيفة بينه وبين الإمبراطور ، وجلبت ردود الآب القـــديس ساويرس غيظ القيصر واحتدام غضبه حيث لم تنفع فيه كل الطرق وأراد الانتقام منه فأمر بالقبض عليه وبقطع لسانه .

وقيل إن أحـــد ضبـــاط الملك ويدعى بكتاليانوس « Bektaleyanos » كان ماكراً وشريراً أشار على الملك بالقضاء على ساويرس بحكم الموت قائلا له إن الأفضل أن يموت ليكون سلام فى الكنيسة .

† † †

الفصل الحادى عشر

تدخل الملكة تيؤدوره (٥٢٧ – ٥٤٨ م)
ومجىء القديس الثانى الى مصر سنة ٥٣٦ م

لما علمت الملكة تيؤدوره المحبة للسيد المسيح بذلك أوعزت إليه أن يهرب فلم يقبل أولا وقال إنه مستعد أن يموت فى سبيل الأمانة المستقيمة لكنه أجابه لإلحاح الملكة وأبنائه المحبين ترك القسطنطينية وهرب إلى مصر سنة ٥٣٦ م ، أما الامبراطور لما طلبه ولم يجده أرسل خيلا ورجالا فى طلبه وأسدل الله حجابا على أبصارهم فلم يروه مع أنه كان قريباً منهم [1] .

---

(١) ورد فى بعض المراجع ان الملكة تيؤدوره لما علمت ان الملك يوستنيانوس عزم ان يفعل هذا بالقديس ساويرس طلبته للحضور وكان معه قيرونيا وبعض القسوة ، وقد طلبن إلى الأب ان يختفى من امام الملك ، لكن الأب المجاهد كان يتمنى ان ينال إكليل الشهادة ورفض قائلا : « إنى مستعد ان اموت وان اقدم ذاتى فدية عن الإيمان الصحيح » . لكن الملكة ومن معها تحدثن إليه قائلات : « **كيف تطلب خلاص نفسك وحدك وتترك بيع الأرثوذكسيين . اذا مات الراعى الا يبدد الذئب الخراف ويأخذها بعيدا عن الراعى فتكون عرضة للموت وتهلك خراف المسيح ؟ . انك ستنطلق سعيدا . . . لكنك ستترك الوحوش الضارية تلتهك بالرعية . . . .** » =

وظل فى ديار مصر حتى نهاية حياته وكان لشدة إتضاعه يحول متنكراً من مكان إلى مكان ومن دير إلى دير فى شكل راهب بسيط ، وأجرى الله على يديه آيات وعجائب كثيرة سيأتى ذكرها فى موضعها .

= وبعد إلحاح وجهد كبير عدل عن خطته وارسلت الملكة فى طلب سفينة فوجدوا سفينة متعلقة إلى فيفيقية فأخذوه ومضوا به ليلا دون ان يعلم احد .

وجاء فى السيرة ما يلى :

انطلق وكنا معه وكان الرب مرشداً له ، ولما اتينا إلى فيفيقية استقبلنا الإخوة سراً ومضينا إلى انطاكية ...

ولما وصلنا إلى انطاكية بعث فى طلب القسوس والعمامسة والأراخنة وحياهم وأوصاهم قائلا :

وصيته للرعية

« إيا كم أن تفتربوا من عين قربية أو تتزوجوا من لساء الهراطقة ، أولئك الذين ينكرون لاهوت السيد المسيح ، انفقوا لتقوسكم ولا تشتغلوا بأى أمر من الأمور يعوق خلاصكم ، احفروا أن تعيدوا عن كلمات الانجيل أو من قوانين الآباء القديسين ، ولتكن لديكم الغيرة نحو خلاص النفوس .

لقد أخبرتكم مراراً أن الموت والعقاب والدينونة العظيمة تحل على كل من يفترك مع المنافقين والهراطقة فى معتقداتهم ، أوصيكم ألا تشتركوا فى قرارات الخارجين عن الإيمان ، وكما ان سم الحيات مخفى فى رؤوسها هكذا فهم خلقيدونية مدفون فيه كل التجاديف .

وكتب بدعض الهرطقات وأمر الجميع أن يسهروا على رعاية تعليم المسيح »

وإن إلتجاء القديس ساويرس إلى الديار المصرية وإقامته بها هذه السنين الطويلة ليوضح لنا فى جلاء أن وحدة الكنيستين القبطية والسريانية تمتد جذورها منذ أقدم الأجيال ، وقد كان صديقا حميما للبطريرك تيموثاوس والبطريرك ثيؤدوسيوس الأول الذى أتى بعده .

ويذكر التاريخ أنه فى أيام البطريرك الاسكندرى ثيؤدوسيوس الأول (٥٣٥ - ٥٦٧ م) الذى خلف البابا تيموثاوس (٥١٨ - ٥٣٥ م) كان الاضطهاد بالغاً أشده حتى أن المدة التى قضاها على الكرسى ٣٢ سنة مكثها بعيداً عن كرسيه وأقام ٢٨ سنة فى المنفى وأربع سنوات فى صعيد مصر ، وفى أيامه أغلقت أبواب البيع بمدينة الاسكندرية بأمر الملك يوستنيانوس الأول (٥٢٧ - ٥٦٥ م) وختم عليها بخاتمه وجعل عليها حراساً حتى لايدخلها أحد ونال هذا البطريرك أحزان كثيرة ...

هذا وبعد أن طرد القديس ساويرس شغل مركزه ثلاثة أساقفة خلقيدونى المذهب على التتابع أحدهما يدعى بولس (٥١٩ - ٥٢١ م)، الثانى يدعى افراسيوس (٥٢١ - ٥٢٨ م)، والثالث يدعى افرآم (٥٢٨ - ٥٤٦ م) .

† † †

الفصل الثانى عشر

فضائله وعجائبه

عنى القديس واضع السيرة يقول :

من يستطيع أن يُقيم فضائل القديس أو يصف جهاده وطهارة قلبه وجلال حكمة الروح القدس الساكن فيه .

موسى بسط يديه وقتل أبيمالك ، وساويرس بسط يديه وأهلك أصحاب البدع والهرطقات . موسى صعد إلى جبل سيناء واستلم الشريعة ، وساويرس صعد إلى الجبل الروحانى كارزاً بالإنجيل ومثبتاً قواعده فى صدور المسيحيين ...

كان صبوراً فى كل شىء وقع عليه من الضيقات والاضطهادات، احتمل الجوع والعطش وتعب السفر مراراً كثيرة ... والصمود فى مقاومته الشديدة أمام الملك يوستينوس .

نعم أيها الآب ساويرس لقد جعلت طيب الأرثوذكسية يفوح فى كل العالم ، نعم أيها الآب ساويرس فرح الآباء الذين كانوا قبلك .. أيها الآب ساويرس نخلية النحل الروحانية جمعت من كل الزهور وملأت الكنيسة رحيقا روحانيا وامتلأت

مخازنها أنواع شهد طيبة ولذيذة المأكل لكل نفس، تلك هي تعاليمك الروحية، إنها حلوة لكل النفوس.

أنت الذي احتملت الإضطهادات من أجل المسيحية كالراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف ويحفظ القطيع ويقوده إلى مراع خضراء ... أنت هو غصن الكرمة في حقل الرب. نضجت عنا قيدها ويشرب الارثوذكسيون عصارتها الروحية. كحبة الخردل نمت حتى استظل تحت أغصانها المؤمنون، أعني قوانينك التي تركتها في البيعة نسلك تحت ظلالها. أنت شجرة الورد الجديد الذي فاحت رائحته العالم ... ذكرك حلو في حنجرتي أكثر من الشهد ...

† † †

١ – الله يقاوم المستكبرين

حدث أن بعض الأشرار وشى به لدى الملك يوسطينيانوس الذي سلم الكنيسة للضيقات والاضطهادات بعد الهدوء والسكينة وقالوا له أن ساويرس هو المقاوم الكبير لمجمع خلقيدونية، فاغتاظ الملك وأرسل للحال ضابطا من قبله يدعى روفوس « Rufus » ومعه ستون جنديا، وكان يريد أن يأخذ البطريرك بالخداع لكن الرب أظهر هذا الأمر لساويرس. فلما دخل روفوس المدينة وكل من كان معه خرج الآب ساويرس والذين معه بسرعة من ناحية أخرى وصار روفوس يبحث عنه دون جدوى فأعلموه أنه غادر المدينة ولا يُعلم إلى أين مضى، فجدّ في البحث عنه.

وكان الآب والذين معه قد وصلوا إلى ساحل « افلاهن » وهو قريب من مدينة فرانيا وركبوا سفينة وأقلعوا بها، فرآهم « روفوس » من بعيد وجدّ في أثرهم، وطلب معدية بقساوة قلب وتعاظم فأتوه بها وأحاطوا به حتى وصلوا إلى البر.

حينئذ استدعى الآب البطريرك وقال له مستهزئا يا تلميذ الرب المجاهد، وكان يحرك رأسه بسخرية وتعاظم وتجبر وكبرياء

وعند ذلك هبت ريح عاصف وشب حريق كبير أحرق روفوس ومن معه ولم ينج سوى أربعة هـــربوا إلى القديس ساويرس وصاحوا يا رجل الله نجنا .

فلما كان ما رأيناه لحقنا خوف عظيم ونهضنا من ذلك الموضع وألقينا بأحد الأديرة. أما الأربعة الذين خلصوا من النار وصاروا معنا فإنهم لما شاهدوا فضائل الإخوة الرهبان صاروا رهبانا ومارسوا كل الأعمال الصالحة لأن الإخوة الذين هناك كانوا مثل الملائكة فى زيهم ونسكهم وفضيلتهم ...

ووصل الخبر إلى الملك فكف عن طلبه ، ولما علم البطريرك ساويرس بأن الملك قد كف عن طلبه قام ورجع إلى انطاكية ، وكانت معونة الله معه وقوته وكان يكتب رسائل روحية ويرسلها إلى الأرثوذكسيين فى جميع الأماكن لتثبيتهم على الأمانة ...

† † †

٢ – هلاك « اسكيلس المنافق »

من لا يعجب لفضيلة الآب ساويرس وما جرى « لاسكيلس » المنافق الخارج على البيعة المستقيمة . نصب نفسه لمقاومة الحكيم ساويرس بقساوة قلب وجاء إلى الموضع الذى كان فيه وطلب الاجتماع مكراً مدعياً أنه يريد « بركة » فقال البواب قل للآب الجليل اتى رجـــل معذب من شيطان وأن الملك أرسلنى إليه ليباركنى ويضع يده على لأبرأ من الضربة... فدخل البواب وأعلم القديس ساويرس بذلك ، فعلم هذا الآب بإلهام الروح القدس أن الأمر بضد ما حكى له ، والذى لا يخفى عنه شىء ، السيد المسيح القادر على كل شىء أظهر للقديس أن هذا الرجل هرطوقى. فقال للبواب أخبره بما قاله المخلص : « أطلبوا تجدوا افرعوا يفتح لكم وقل له أن الذى تمنيته يكون لك » فما أن سمع أسكيلس هذا حتى نزل عليه روح شرير وألقاه على الأرض ورفسه الجواد الذى كان يمتطيه واشتبك فى اللجام، وعند ذلك إنشق من وسطه ومات لوقته وامتلأ الذين كانوا معه خوفا لما شاهدوا ما كان .

فلما علم أصحابه الهراطقة بموته بسبب ساويرس خافوا منه . كالفلسطينيين فى ذلك الوقت الذين خافوا من بنى إسرائيل لما قتل جليات الجبار وأما الأرثوذكسيون فمجدوا الله .

٣ - اجتياز ساويرس وسط أعدائه
دون أن يروه

أرسل الإمبراطور يوستنيانوس أميراً اسمه Abrediminos ابرديمينوس [1]، ومعه ماتتا جندى لكى يحضروا القديس مقبوضاً عليه ، وكان ابريديمينوس من الهراطقة وكان حانقاً على ساويرس لمقاومته للنساطرة وكان يتمنى وقوعه فى قبضة يده ...

ولما جاء إلى انطاكية بحث عن ساويرس إلى أن وجده فى المذبح فأحاطوا بالكنيسة من كل جانب وأمر رجاله ألا يقبضوا على أحد فيها إلا على ساويرس حتى لايحدث شغب وأن يخرجوه ليلا سراً ، وكان معه كثيرون من الخارجين على الإيمان المستقيم ممن يعرفون ساويرس لأن ذلك الأمير لم يكن يعرفه .

وبعد أن صلى البطريرك صلاة القداس وكملت الأسرار المقدسة أخبروه بحضور الضابط وإحاطته بالكنيسة فلم يتزعج ولم يقلق بل كان مستعداً بفرح لقبول ما يناله .

وقد اتفق رأى القسوس مع الشعب على أن ينطلق الآب

(١) ورد بمخطوطة دير السريان ابرامنديانوس .

البطريرك فوراً سراً من الكنيسة ، وفيما هم متدبرون ذلك ، حضر الجند وأعوانهم لكى يقبضوا عليه وينقلوه خارج الكنيسة حتى لا تراق الدماء عند وقوع الاشتباك بين أعدائه وبين المسيحيين الذين كانوا على استعداد كامل للدفاع عن أبيهم الطوباوى من أى اعتداء يقع عليه - إلا أنهم لم يجدوه وتولاهم الحزن جميعاً وكانوا فى دهش عظيم كيف خرج من وسطهم دون أن يشعر به أحد فكان حجابا من الرب أسدله على العيون لكى لايراه أحد عاريا . ولم يدر أحد من أعدائه أو من رجال الكنيسة بشىء فإنه اجتاز كما اجتاز السيد المسيح فى وسط أعدائه دون أن يروه .

حقاً أن هذه الاعجوبة التى صنعها الرب كانت نصراً كما كان لاليشع النبى عندما أرسل اليه ملك سوريا عبيده لكى يمسكوه ويلحقوا به الأذى ، فإنه عندما حضر جند الملك حيث كان أليشع النبى موجوداً ضربهم الرب بالعمى . « فأرسل إلى هناك خيلا ومركبات وجيشا وجاءوا ليلا وأحاطوا بالمدينة ، فبكر خادم رجل الله وقام وخرج وإذا جيش محيط بالمدينة وخيل ومركبات . فقال غلامه له : آه يا سيدى كيف نعمل ؟ فقال : لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم، وصلى أليشع وقال: يا رب أفتح عينيه فيبصر ففتح الرب عينى الغلام فأبصر وإذا

الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول أليشع - ولما نزلوا إليه صلى أليشع إلى الرب وقال: أضرب هؤلاء الأمم بالعمى فضربهم بالعمى كقول أليشع ، فقال لهم أليشع: ليست هذه هى الطريق ولا هذه هى المدينة ، أتبعونى فأسير بكم إلى الرجل الذى تفتشون عليه فسار بهم إلى السامرة ، فلما دخل السامرة قال أليشع: يارب افتح أعين هؤلاء فيبصرون ، ففتح الرب أعينهم فأبصروا وإذا هم فى وسط السامرة ، فقال ملك اسرائيل لأليشع لما رآهم هل أضرب يا أبى ؟ فقال لا تضرب ، تضرب الذين سبيتهم بسيفك وبقوسك ... ثم أطلقهم .

هكذا فعل السيد مع ساويرس ، إنه أرسل حجابا على أعين ابريديميوس وكل رجاله الذين كانوا معه حتى خلص ساويرس من أيديهـــم .

لكن ابريديميوس أمر أن يضاعف كل جهد مستطاع لكى يقبضوا على ساويرس ، وقيل له أنه موجود فى دير أثناسيوس محتبئاً ... ولما جاء ابريديميوس إلى الدير استفسر عن ساويرس وحدث بأمر الرب أن ساويرس كان قد ذهب ليستق ماء وكان يحمل الجرة كما كانت عادة الإخوة الرهبان ، وإذ علم ساويرس أن ابريديميوس قد حضر للبحث عنه ترك جرة الماء وذهب واختفى فى الجبل. وعبثا حاول ابريديميوس العثور عليه وأيقن أنه هرب من بين يديه إلى الجبـــل وأخفى نفسه ، وكان هذا بتدبير من الله أنه جعلهم ينظروه كأنه شجرة أمامهم حتى يخلص من أيديهم . وإذ بحث عنه هو والذين معه بحثا دقيقا فى القفر ولم يجدوه ، وفشلوا فى العثور عليه عاد إلى القسطنطينية وأخبر الملك بكل ما حدث .

† † †

٤ - سقوط المطر بصلوات القديس

حدث فى أيام الآب الجليل ساويرس أن السماء لم تمطر على الارض وجرى غلاء شديد فى جميع بلاد المشرق يشبه ما كان فى أيام آخاب الملك ، فأتى القديس المؤمن اكلوديوس ومعه جماعة من الارثوذكسيين الذين كانوا فى قلاية الآب ساويرس لمعرفتهم أنه ممتلىء من الروح القدس وسألوه بإلحاح أن يطلب إلى الله أن يرسل المطر على الارض لئلا تهلك الناس والبهائم. فبكى القديس بكاء عظيما وقال انى لست أهلا لهذا ، لكن الجمع كله كان يطلب إليه ويضيّق عليه . فخاطبهم القديس ساويرس باتضاع هكذا قائلا : « إن إلهنا يسوع المسيح رحوم وقد قال فى انجيله المقدس إن كان لكم إيمان مثل حبة خردل تقولون لهذا الجبل انتقل فينتقل، لنطلب الآن كلنا إليه فإن كان لنا إيمان فإن الله يسمعنا » .

ثم أن إيليا الجديد رفع يديه إلى السماء مع جماعة الإخوة وصلوا إلى الله ، فانفتحت أبواب السماء كما هو مكتوب ، فانهمر المطر مدراراً . فلما رأوا ما كان مجدوا الله وقالوا ما قاله العبرانيون فى ذلك الزمان ، ان الله أقام لنا نبياً عظيما .

حقاً انى أسكت وأتحير، لقد كان وجهه يضيء مثل شعاع الشمس لأجل طهارته وكان عجيب المنظر لامتلائه من نعمة الروح القدس.

٥ - شفاؤه أبرص

يقول واضع السيرة : لستم تجهلون أمر الشيخ ثيؤدورس الذى بيديه برص حتى أنه ما كان يستطيع أن يدخل إلى الكنيسة وهو أبرص، هذا سمع عن فضائل القديس ساويرس وعن الجموع الكثيرة التى كان يشفيها ، فمضى إليه حيث وجده جالسا عند باب مغارته . . . فلما رآه ثيؤدورس الشيخ وقع أمامه وقال له : « إشفق على وأشفنى بأمر السيد المسيح فإنى أعلم أن الذى تطلبه من الله تجده وأنه يعطيك مسألتك ، فنظر ساويرس المشتمل بجميع الفضائل الروحانية إلى ثيؤدورس القس وهو يبكى فقال أيها الآب القس أما علمت انك عندما شاركت أولاد نسطور صرت فقيراً من نعمة الله ؟ فدع عنك مشاركتهم من الآن، وكان القس تادرس مؤمناً وإنما كان ساويرس يوبخه لأنه كان مخالطا للهراطقة ومشاركا لهم، فاعترف بخطيته وتعهد أنه لا يعود يشارك أحداً من الهراطقة ولا يخالطهم من ذلك اليوم... وفعل ساويرس كما فعل شريكه فى خدمة الله أليشع النبى مع نعمان السريانى وأمره أن يمضى ويستحم من ماء البئر الذى يستق منه الإخوة ليطهر فمضى وتطهر ، وغشى كل من نظره خوف عظيم ومجدوا الله ، والذين كانوا يعرفونه من قبل تعجبوا . وكثيرون من الذين

كانوا يقاومون ساويرس انضموا إليه ، لأنه كما يقول يعقوب الرسول « أنا أريك إيمانى بأعمالى ص ٥ : ٢ » .

عجائبه بمصر :

صنع بمصر عجائب كثيرة وبصلواته روى النفوس والأجساد وشفاها كلها بحكمة . وكان يجول فى الصحارى وفى الجبال والأديرة وينتقل من مدينة إلى مدينة من أجل الاضطهادات التى كانت تلاحقه لكن الرب كان يرعاه ويحفظه ليكون سبب خلاص لنفوس كثيرة .

٦ – شفاؤه مريضة

قيل عنه إنه ذهب مرة إلى مدينة شهيرة يقال لها أوسيم ، مركز إمبابة ، فاستقبله رجل تقى يخاف الله لم يكن يعرفه وأسكنه عنده وكان هذا الرجل محباً لضيافة الغرباء ويعمل فى النسيج بيديه ويحتجز لنفسه ما يكفى لمعيشته ويوزع الباقى على الفقراء والمحتاجين .

ولما كان القديس ساويرس فى منزله وجد أن امرأة إبنه مريضة وتشكو ألماً شديداً فى أمعائها ، ولم يقدر أحد أن يشفيها . فصلى عليها القديس وأقامها الرب صحيحة من مرضها . ولما رأى أهل المنزل ذلك تعجبوا ومجدوا الله ، لكنه لما رأى أن الأمر قد شاع فى المدينة وابتدأ الناس من كل مكان يأتون إليه لينالوا بركته بارح المدينة واختفى عنهم .

† † †

٧ – القديس يصير الماء الملح فى بئر

بدير القديس مكاريوس عذبا

مضى إلى دير القديس مكاريوس وكان هناك راهب من أهل الصعيد وكان اسمه «مكاريوس»، وكان قديسا وإذ كان البطريرك كعادته يزور الأديرة متخفيا فى زى راهب بسيط. تقدم مكاريوس الراهب إلى البطريرك بكل إكرام يليق به إذ عرفه، وكان فى الدير بئر ماؤها ملح وكان الإخوة الرهبان يتعبون من شرب هذا الماء الملح، وأخبره بأمر البئر وكيف أن ماءها يتعب الإخوة فقال البطريرك للشيخ إن صلاتك يا أبى قادرة أن تجعل هذا الماء عذبا.

وحينئذ قال له الشيخ صلواتك أنت يا سيدى المقبولة أمام الله قادرة أن تجعل الماء حلواً، فأمره القديس ساويرس أن يلق بالماء الذى يلبق فى الصينية بعد غسلها بنهاية القداس فى البئر فيصير الماء حلواً بأمر الله [1]، وكان هذا الشيخ ممتازاً ببساطة الإيمان فأطاع الأمر وهكذا صار الماء حلواً.

إذا كان هذا فعل الماء الذى تغسل به الأوانى المقدسة كم يكون فعل الجسد والدم الإلهى فى النفوس التى أفسدها الإثم، انه ولاشك يجعلها أكثر بياضاً من الثلج.

---

(١) ذكر ايفلين هوايت فى كتابه الجزء الثانى ص ٢٣٠ انه يبدو ان هذا البئر هو الذى يطلقون عليه بئر مكاريوس.

٨ – إختفاء القربان وقت القداس

دخل القديس ساويرس فى إحدى الكنائس فى برية شيهيت [1] ليصلى فى زى راهب بسيط غريب، وعندما رفع القس القربان ووضعه على المذبح وبعد الرسائل والإنجيل صعد القس إلى الهيكل ورفع الابروسفارين ليقدس القربان فلم يجده وبكى والتفت إلى الحاضرين قائلا لهم: «أيها الإخوة إننى لم أجد القربان لأنه قد خفى عنى، ولست أدرى ان كان هذا من أجل خطيتى او خطيتكم؟» فبكى الحاضرون أيضاً، وفى الوقت ظهر ملاك الرب وأعلمه أن هذا ليس لأجل خطيته ولا لأجل خطية الحاضرين إنما كان لرفعه القربان من على المذبح والآب البطريرك حاضر، وأشار الملاك إليه وكان فى إحدى زوايا الكنيسة فعرف القديس بالنعمة، ولما أتى إليه القس أمره الآب البطريرك أن يكمل القداس بعد أن أدخلوه إلى الهيكل بكرامة عظيمة، فصعد القس بعد ذلك إلى المذبح ووجد القربان على حاله، فمجدوا الله جميعاً وحقاً ما قاله القديس مار اسحق السريانى «من يطلب الكرامة تهرب منه ومن يهرب منها تلاحقه».

---

(١) من السنكسار وبعض المراجع التاريخية.

فى جميع الحولاجيات لا توجد أية اشارة إلى ما يجب اتباعه عند تقديم الحمل فى حالة حضور الآب البطريرك أو الاسقف الذى لا يخدم القداس . وبعد البحث وُجد فى مخطوطة بكنيسة الشهيدة برباره بمصر القديمة « كتاب ترتيب صلوات البيعة » الجزء الثانى فى ٢٧ برموده ١٢٧٦ ش (٢٢/٤/١٥٦٠م) نص فى هذا الشأن كالآتى :

« فإذا حضر السيد البطريرك ولم يخدم القداس فعند نزوله من القلاية يقال « اكتشى خارس » (أخذت نعمة موسى ...) وبعد ذلك يقرأ البركة ويتقدم أحد الكهنة ويأخذ عمامته فى ستر وبعد ذلك يشير البطريرك لأحد الكهنة بالخدمة فيصعد ذلك إلى المذبح ويبتدىء أولا بكسوة المذبح ، يقدمون الحمل إلى السيد البطريرك فيختاره ويدفعه للكاهن ويغسل يديه ويطوف بالحمل والخمر وينزل من المذبح ويقدم ذلك للآب البطريرك فيرشمه ويصعد الكاهن إلى المذبح ويبتدىء بصلاة الشكر ، وعند الرشم جميعه يلتفت إلى الآب البطريرك ليرشمه ، وبعد ذلك يتلو التقدمة . . . الخ

فما دام البطريرك حاضراً فإنه هو الذى يختار الحمل ثم يقدمه للكاهن ويأذن له بالصلاة ، الأمر الذى لم يفعله الكاهن

الخادم لأنه لم يكن يعلم أن القديس ساويرس البطريرك كان حاضراً .

وهناك أمر مهم وهو أن الملاك أراد أن يعلن فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كرامة هذا الآب الذى كان يصلى متخفياً فى زاوية الكنيسة فى زى راهب بسيط . ولقد زادت محبة الأقباط للسريان . . .

والنص الآتى وجدناه فى كتاب :

" Textes Arabes relatifs à Sévère" extraits grecs et Latins.

« من بعض عجائبه أنه دخل إلى مصر وأول وصوله إليه عبر على كنيسة السيدة العذراء التى تعرف بالمعلقة بمصر ووقف بالباب وكان الكاهن يقدس على المذبح وفيما هو يرشم الشعب بالصليب بترتيب الخدمة ، إذا الملائكة قد حجبوا الصينية والكأس من على المذبح من قدامه ـ لما إلتفت يريد أن يكمل القداس لم يرَ الصينية أو الكأس فبكى كثيراً وبقى متحيراً لا يعرف السبب فى ذلك فأتاه صوت يقول له لأجل أنك رسمت رسم الصليب على رئيس الأحبار بطريرك أنطاكيه ، فقال يا سيدى ما عرفت أنه حاضر وكان الشعب جميعه يسمع ذلك

فطلع ذلك الكاهن من الهيكل وضرب مطانية وطلب إلى الآب البطريرك أن يدخل ويبارك ويقـــدس ، وأن الآب البطريرك ما كان يعرف القبطية فدخل وبارك وكان القربان مكانه كما كان أولا ... وزادت المحبة بين جماعة القبط والسريان إلى زمان أبينا يوحنا بن شوشان بطريرك أنطاكيه . . . .

† † †

٩ – مواهب الشفاء من «سن» للقديس

قد شرف الله قديسه بالعجائب العديدة من جسده حتى أن سناً كان قد سقط من فمه وهو على فيد الحياة فأخـــذه أحد رهبان دير الزجاج (موقعه الآن الدخيله) ، ولفه فى قطعة من الحرير وكان يضعه على المرضى فيبرأون فى الحال .

وروى عنه أن بعض أعدائه من الحراطقة قابلوه فى الطريق وقطعوا أصبعه وقيدوه ، وهيأ الرب له من قطع الحبال التى كان مربوطاً بها .

انه ساويرس الذى قطع كل شرور المنشقين وثبت لنا الايمان المستقيم ويقول عنه Evelyn White الجزء الثانى ص ٢٣١ انه فى القرن الحادى عشر كان أصبع القديس محفوظاً فى أنبوبة بدير البرموس ، أما الحبال التى كان مربوطاً بها فيقال انها ظلت بدير القديس مكاريوس .

† † †

الفصل الثالث عشر

نياحته

هذا الآب القديس جاهد الجهاد الحسن ، أكمل السعى وحفظ الإيمان فاستحق أن ينال إكليل المجد .

عندما إنطلق إلى مدينة سخا سكن عند حاكم المدينة دوريثاوس وكان الرب قد أفتقده بمرض. وقد رأى قبل نياحته كأن قوما بمنظر باهر قد حضروا إليه: هؤلاء القوم هم القديسون الذين سبقوه ، الذين كان يردد كلماتهم المقدسة ويتذكر تعاليمهم ، وهم الذين قبلهم السيد المسيح من أجل جهادهم للإيمان المستقيم .

وفى اليوم الرابع عشر من شهر أمشير رقد فى الرب فى بيت دوريثاوس فى سنة ٥٣٨ م وقام بتكفينه فى أكفان ثمينة وحمله إلى الدير الذى كان القديس ينزل فيه ويتردد إليه كل وقت وكان هناك أديرة كثيرة تربو على ثلثمائة دير أغلبها تهدم - وهو قريب من مدينة الاسكندرية ويدعى دير الزجاج (موقعه الدخيلة الآن) وجسده محفوظ به .

وروى أنه لما تنيح القديس فى مدينة سخا عند دوريثاوس الارخن المحب لله ونقل جسده فى مركب إلى دير الزجاج غربى

الاسكندرية وساروا به قليلا لم يجدوا ماء يحمل مركبهم فاضطربوا وقلقوا لكن الله حفظ جسد القديس من أعدائه المبغضين له فى حياته وبعد مماته وسير المركب مسافة ستة أميال إلى الساحل ، ومن هناك حملوه إلى دير الزجاج ووضعوه فى المكان الذى كان قد بناه الأرخن دوريثاوس .

وكتب الآب يوحنا رئيس دير أفتونيا يقول ما ترجمته : « ذهب إلى الصحراء التى أحبها وتنبأ أن نهاية حياته وشيكة وسينتهى كل شىء بالنسبة له ، ستنتهى الحياة والجهاد معا ، وكموسى بطريقة ما سمع من يقول له : « إصعد إلى الجبل ومت هناك » لأنه عند قمة الجبل الروحى تتم نهاية كل حياة فى الفضيلة. ولما كان القديس وحده وليس هناك أحد من الكتبة معه ليكتب كتب خطاباً طويلا بيده إلى الأرشمندريت يوحنا ، وبواسطته وصل الخطاب إلى كل رهبان الشرق وهذا الخطاب خاص بالانحلال وقد أراد أن يكون ذلك خاتمة رسائله وتنبأ فى هذا الخطاب بموته ...

ثم يقول واضع السيرة عن ساويرس الكبير ما يلى مع بعض التصرف .

أريد يا رجل الله التقى دوماديوس أن أوقف هنا روايتى

وأتركها ناقصة لأن أذن المؤمنين لا تحتمل أن تسمع عن موت ساويرس . ان فى هذا لعجباً فما حدث فعل لا يحتمل - حتى روايته - وهو يبعث الحزن على الذين سبقوا . لقد روى الكتاب المقدس لنا موت ابراهيم وموسى ويشوع بن نون وداود والانبياء الآخرين .

ويقول داود النبى .

عزيز فى عينى الرب موت صديقه .

الويل لى لأنى منفى طول هذا الوقت .

متى آتى وأرى وجه الرب ؟ .

ووحى عطشى إليك يا الله الحى .

وفى موضع آخر يقول : « أخرج من الحبس نفسى » . كان يسمى هذه الحياة البائسة سجناً وكانت نهاية الحياة موتاً ، والكلمة بالنسبة للقيامة غامضة جدا لأن الحمل ما كان ذبح بعد والخطية لم تكسر شوكتها بعد ولا الموت كسرت شوكته بعد .

ويروى فيما يختص بأليشع الشىء العجيب . مرض رجل الله مرض الموت وكان ذلك لازماً لإثبات أنه ليس قوة روح إيليا معله . فبعد موته أقام ميتاً ولم يكن معلمه قد فعل ذلك

فى حياته . فالمسيح صانع العجائب أعطى أيضاً تلاميذه السلطان على عمل معجزات أكبر من التى صنعها هو نفسه . كيف إذن لا نكتشف عن ذهاب القديس ساويرس من هنا أعنى عودته إلى الله بمجد وبطريقة عجيبة .

كان القديس قبل موته بقليل راقداً على فراشه ضعيفاً ونصحوه أن يأخذ حماماً . . . ولما أضجعوه على الأرض كان جسده شبه ميت ولم يقو على الجلوس ، ولما رفعوه عن الحجر الذى كان مضطجعاً عليه ترك علامة لا تمحى . . . إلى أن قال : وحتى ذلك اليوم كل من أصابه برد أو حمى أو مرض جسدى آخر ، كان يشفى من مرضه عند لمسه فقط لهذا الحجر .

وجدير أن نشبهه بالرسولين بطرس وبولس اللذين كان ظل أحدهما يشفى الأمراض وهكذا مناديل وعصائب الآخر .

ولما رأوا ساويرس على هذه الحالة كانوا يبكون طالبين ألا يتركهم وسط الوديعة والاضطرابات الكبيرة ، ظانين أنه يستطيع أن يبقى ، ولكنه قال لهم مثل بولس الكبير : أيها الرجال ماذا تصنعون تحزنون وتبكون قلبى ؟ إنه خير لى أن أذهب وأكون مع المسيح . ان نهاية حياتى كملت ، وكملت أيضا

وظائف الرعاية التى أؤتمنت عليها . وكأب الآباء أستطيع أن أقول للرب يسوع ، لم أحضر لك خرافا افترستها الوحوش . لقد إنتهى عملى وإنى مستعد للرحيل منذ زمن طويل وكنت أفكر فيه فى كل وقت . وعن قريب تلحقون بى وتتحد سريعاً معا فى المسيح ونفرح إلى الأبد إذا كنا ننال نفس النهاية ، حيث يقيم أولئك الذين يفرحون ويمجدون الرب ...

وبعد أن قال هذه الكلمات فاضت روحه إلى السماء وفارقت جسده... انتقل إلى السماء لتستقبله البطاركة والأنبياء والمعلمون الحكماء وبالاخص معلمو الكنيسة ـ محامياً دافع عنهم خلال الأهوال والأتعاب . وهو يفرح معهم فى السماء منتظراً يوم الدين ، اليوم الأخير حيث توهب أكاليل الحق .

وبعد موته كان ينبعث من جسده عطر زكى ولم يكن يفارقه فى حياته ، حتى أن الذين كانوا يقابلونه ويستنشقون العطر كانوا يعتقدون أنه يتعطر بالمر غير عالمين بالأمر .

إنه جيد ولائق أن نذهب لزيارة قبر القديس بكل إكرام ، ونصل إلى الله ليرحمنا ببركة صلواته لأنه أحب الرب كابراهيم

وخدمه بأمانة كما فعل سائر الرسل[1] .

ويروى الآب يوحنا رئيس دير أفتونيا إلى رجل الله دوماديوس معجزة حدثت بعد نياحة القديس ساويرس. يقول « ... ومثل النبى أليشع صنع معجزة بعد موته فعندما ترك هذا العالم وقد أعدوا له قبراً لم يكن مناسباً لطوله وكان أقصر بكثير منه ولم يتحققوا من ذلك وصرفوا الصانع للقبر الذى كان غريباً . ولما حضروا لكى يضعوا فيه الجسد لم يستطيعوا ، فوقفوا متحيرين وبعد أن أعملوا فكرهم طويلا وكان البعض يقترح أن يثنوا ركبه والبعض الآخر لا يرى مثل هذا الاقتراح ويعتبره شيئاً مكروهاً ، حينئذ كما لو كانت قوة إلهية تدفعه ، نزل الجسد دون أن ينكسر أى عضو أو ينثنى حتى ولو قليلا . ترى هل صغر الجسد أو كبر القبر ؟ الله وحده صانع هذه المعجزة يعلم . فهو يكرم أيضاً بعد الموت أولئك الذين يكرمونه . وكان كل من به مرض وكل عاهة تشفى فى اللحظة التى يقترب فيها المريض من القبر .

---

(١) ورد فى نهاية السيرة عن دير السريان ٢٩٩ ميامر .

« هذا الخبر عن القول من القديس أثناسيوس لسخته عن نسخة بخط يوحنا ، وكذلك ما نقل عن نسخة بخط الشيخ ابو المكارم بن ابو البدار » .

ثم يوجه كاتب السيرة حديثه إلى دوماديوس قائلا : انه لم يكتب كل حيـــاة ساويرس لأن ذلك لم يكن ممكناً فيقول : « اقتطفت بطريقة ما وردة فى حديقة أو عنقوداً جميلا من كرمة وقدمتها إليك وإلى القراء لكى أكون لك مرضياً . ولا أطلب منك جزاء لاتعابى سوى صلواتك لكى أكون مستعداً أن أترك جسدى ، ولا أظهر مذنباً أمام منبر المسيح ، هذا الذى له المجد والكرامة والسلطان من الآن وإلى دهر الدهور آمين » ؟

وبعد ذلك دونت العبارة الآتية وترجمتها عن الفرنسية :

« تمت سيرة حياة القديس مار ساويرس بطريرك أنطاكيه ، التى ترجمهـــا من اليونانية إلى السريانية رجل الدين والتقوى مار سرجيوس بن شاوريا » ،

† † †

الفصل الرابع عشر

احتفالات الكنيسة بأعياد القديس

فى كل مجال كان للقـــديس أثر بارز ومجهودات ضخمة لأجل الرب وقد أعلن الملاك كرامة هـذا الآب فى كنيستنا القبطيـة ، ولطول جهاده وصـــبره فى كل الضيقات قد رفعته الكنيسة وأكرمته وتذكره فى مجمع القداس بعد القديس العظيم مار مرقس الرسول مباشرة بين معلمنا ديسقوروس والقديس أثناسيوس الرسولى . انه بطل من أبطال الارثوذكسية حفظة الايمان المستقيم . شابه جهاده جهاد الرسل .

تعيد له الكنيسة القبطية ثلاثة أعياد وتذكر سيرته ثلاث مرات فى السنة وقد ورد فى السنكسار ذكر هذه الاعياد :

(١) العيد الأول فى ٢ بابه تذكار مجيئه إلى مصر

(٢) العيد الثانى فى ١٤ أمشير تذكار نياحتـــه

(٣) العيد الثالث فى ١٠ كيهك تذكار نقل جسده إلى دير الزجاج

† † †

نرجو بشفاعات القديسة الطاهرة مريم العذراء وجميع صفوف الشهداء والقديسين أن يقيمنا الرب عن جانبه اليمين فى يوم الدين ويصنع معنا رحمة كعظيم رحمته وله كل مجد واكرام من الآن وإلى الابد آمين ؟

كتب لم يتبق منها سوى عشرات النسخ

بمكتبة كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بأسبورتنج

- عظات القديس العظيم أنبا شنوده
- سيرة القديس العظيم يحنس قمص شيهيت
- سيرة القديس مكاريوس الكبير
- تفسير رسالة كورنثوس للذهبى الفم

† † †